
المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com


الأنبا يوأنس
أسقف الغربية
المسيحية والصليب

المسيحية والصليب

الأنبا يُوأنس
أسقف الغربيّة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٩١٧ / ١٩٨٤



قداسة البابا شنوده الثالث

تقـــــديم

المسيحية والصليب أمران متلازمان ، وصِنْوان لا يفترقان ... فأينما وحينما يُرى الصليب مرفوعاً أو مُعلّقاً ، يُدرك المرء انه أمام مؤسسة مسيحية ، أو مؤمنين مسيحيين ... **ولا عجب فالصليب هو شعار المسيحية ، بل هو قلبها وعمقها ...**

لقد تأسست المسيحية على أساس الصليب وبالصليب ... ولا نقصد بالصليب قطعتى الخشب أو المعدن المتعامدتين ، **بل نقصد الرب يسوع الذى عُلّق ومات على الصليب عن حياة البشر جميعاً** ، والخلاص الذى أتمه ، وما صحبه من بركات مجانية ، نَعِمَ بها البشر قديماً ، ومازالوا ينعمون ، وحتى نهاية الدهر...

والفكرة الشائعة عن الصليب انه رمز للضيق والألم والمشقة والاحتمال ... **لكن للصليب وجهين: وجه يُعبّر عن الفرح ، ووجه يعبرّ عن الألم .** ونقصد بالأول ما يتصل بقوة قيامة المسيح ونصرته . ونقصد بالثانى مواجهة الإنسان للضيقات والمشقات ... **ويلزم المؤمن فى حياته أن يعيش الوجهين ، ويختبر الحياتين ...**

بالنسبة للمؤمن المسيحى ، فإن الصليب بهذه المفاهيم ، هو حياته وقوته وفضيلته ونصرته ... عليه يبنى إيمانه ، وبقوة مَنْ صُلب عليه يتشدّد

وسط الضيقات وما أكثرها ... هذا ما عناه القديس بولس الرسول بقوله : « **ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع** ، الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب ، مستهيناً بالخزى ... **فتفكّروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه ، لئلا تكلّوا وتخوروا فى نفوسكم** » (عبرانيين ١٢ : ٢ ، ٣) .

ملايين المؤمنين فى انحاء العالم عبر الأجيال حملوا الصليب بحب وفرح ، واكملوا مسيرة طريق الجلجثة ، فاستأهلوا افراح القيامة ... هذا بينما عثر البعض فى الصليب ، وآخرون رفضوا حمله ، فألقوه عنهم ... ولم يكن مسلك هؤلاء وأولئك سوى موتاً إيمانياً وروحياً لهم « نحن نكرز بالمسيح مصلوباً ، لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين ، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » (كورنثوس الأولى ١ : ٢٣ ، ٢٤) .

مادة هذا الكتاب القيت فى سبع عظات فى الصوم الأربعينى المقدس سنة ١٩٨٢ فى مدينتى طنطا والمحلة الكبرى ...

يسعدنى أن أقدم هذا الكتاب إلى أبناء كنيستى وأبناء ايبارشيتى الذين أنا مدين لهم بالحب والتشجيع ... أقدمه لكل مسيحى يجاهد فى حمل الصليب بفرح إلى النهاية ... واطلب صلوات كل قارىء لهذا الكتاب عن ضعفى ، ليهبنى الله القوة والعون وصحة الروح والجسد حتى ما أكمل رحلة غربة الجسد لنستأهل للبركات التى أعدها الله لكل محبيه الذين ساروا خلفه حاملين الصليب .

ونحن نصلى إلى الله من أجل سلام وبنيان كنيستنا المقدسة ، ونطلب من إلهنا السلامة والعافية لرئيس رؤساء كهنتنا قداسة البابا شنوده الثالث لتكون أيامه سعيدة ...

وانى اضع هذا الكتاب بين يدى الله الذى احبنا وفدانا ، ليجعله سبب بركة وتعزية وتشجيع لكل من يقرأه .

وإلهنا المبارك الذى دعانا لمجده الأبدى فى المسيح يسوع يحفظ بلادنا وكنيستنا وشعبنا و يهبنا وحدانية القلب الذى للمحبة . ويحفظنا جميعاً فى إيمان بلا لوم ولا عثرة لحين ظهوره .

وله كل المجد والكرامة والسجود إلى الأبد آمين .

يــوأنس
بنعمة الله أسقف الغربية

١٢ من يناير سنة ١٩٨٥

٤ من طوبه ١٧٠١

تذكار نياحة القديس يوحنا الإنجيلى حبيب الرب

الصليب والمسيح

الصليب قديماً فى بعض الشعوب .
كلمة الصليب فى أسفار العهد الجديد .
مثال الصليب فى العهد القديم .
لماذا اختار المسيح أن يموت مصلوباً ؟
الأسانيد التاريخية غير الكتابية على صلب المسيح .
كـــفن المســـيح .
صليب المسيح تاريخياً .

لماذا الصليب لسلسلة هذا العام ؟

صليب المسيح هو محور المسيحية وقلبها وعمقها . حوله يدور كل فكر العهد الجديد ، وفيه يرتكز كل غنى الإنجيل ومجده ... إنه رمز المسيحية وشعارها ومجدها ... وبقدر ما ينكر الملحدون وغير المؤمنين صفته الكفارية ، فإن المؤمنين المسيحيين يجدون فيه سرّ النعمة التى يقيمون فيها ، بل ومفتاح أسرار ملكوت السموات ...

والمعروف عن الصليب أنه عار . لكن للصليب مجداً ... ومجد الصليب كعاره تماماً . **فالتأمل فى عار الصليب ، هو رؤية مجده ...** هكذا نفهم كلمات القديس بولس الرسول « إن كلمة الصليب **عند الهالكين جهالة .** وأما عندنا نحن **المخلّصين فهى قوة الله** » (كورنثوس الأولى ١ : ١٨) .

إن الصليب يستمد قوته وكرامته من السيد المسيح الذى عُلّق عليه ... وحينما نتحدث عن الصليب فإنما نشير حتماً إلى موت المسيح . وحينما نذكر موت المسيح فواضح أن صليبه وارد أيضاً فيه ... لذا فلا غرابة إن رأينا أسفار العهد الجديد المقدسة تمتلىء بالكلام عن موت المسيح وبالتالى عن الصليب .

كان الصليب ومَنْ صُلب عليه هو جوهر كرازة الكنيسة الأولى ، وهو الحق الأول والأساس فى الإيمان المسيحى ... ولعل كلمات بولس الرسول لمؤمنى كورنثوس تُظهر لنا هذا المعنى ... « **فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً .** إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب

الكتب. وانه دُفن وانه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب» (كورنثوس الأولى ١٥: ٣، ٤)... والمعنى، ان موت المسيح ودفنه وقيامته، هو الإيمان الذى قبله بولس، والذى يكرز به. لذا نرى بولس فى موضع آخر يقول «لأنى لم اعزم أن اعرف شيئاً بينكم إلاَّ **يسوع المسيح وآياه مصلوباً**» (كورنثوس الأولى ٢: ٢)...

وعلى نحو ما كان المذبح والذبيحة هما حجر الزاوية فى عبادة العهد القديم، كذلك الصليب وموت المسيح الكفارى، هما حجر زاوية الإيمان فى العهد الجديد... من أجل هذا فإن كل أسفار العهد الجديد تناولت قصة الصليب باستثناء ثلاث رسائل قصيرة هى الرسالة إلى فليمون، ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة.

إنه أمر يدعو للدهشة فى زماننا أن توجد بشارة مفرحة فى صلب إنسان، تماماً كما حدث حينما بدأ المسيحيون الأوائل يكرزون بالمسيح مصلوباً... **كيف يكون عملاً وحشياً بربرياً، وضع نهاية مخزية وحزينة لحياة الرب يسوع، يصبح قوة ونصرة واعلاناً عن محبة الله الفائقة للبشر؟!... وكيف صار الصليب - وهو رمز قديم لوحشية الإنسان - ذا تأثير حضارى واسع، استطاع أن يغيّر وجه العالم حينما جدّد الخليقة؟!... هذا ما سوف نعرض له فى سلسلة محاضرات الصوم المقدس لهذا العام...**

الصليب قديماً فى بعض الشعوب :

هل كان الصليب آلة تعذيب انفرد بها المسيح وخصصت له . أم أنه عُرف فى بعض الشعوب ؟

عُرف الصليب كآلة تعذيب وعقوبة اعدام بين بعض الشعوب ـ غالباً الشرقية ... فلقد **عُرف عند الفينيقيين.** وذكر عن الاسكندر الأكبر انه حكم على ألف شخص من أهالى مدينة صور بالصلب ... **وعُرف عند الفرس .** فلقد أصدر داريوس أمراً ان كل من يخالف منشور الملك قورش يعلّق مصلوباً على خشبة (عزرا ٦ : ١١) . و يظهر الصليب عقوبة أيضاً عند الفرس من قصة هامان ومردخاى (أستير ٥ : ١٤ ؛ ٨ : ٧) ... وصلب **انطيوخوس ابيفانس حاكم سوريا** يهوداً أتقياء رفضوا الاذعان لأمره بترك دينهم ... و يبدو أنّ هذه العقوبة عُرفت **بين المصريين القدماء** ـ وإن لم تكن شائعة . فحينما فسرّ يوسف الصديق حلم رئيس الخبازين الذى كان مسجوناً معه فى السجن ، قال له «فى ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك و يعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك» (تكوين ٤٠ : ١٩) .

كما عُرفت عقوبة الاعدام صلباً لدى الرومان ، وكانت غالباً قاصرة على العبيد والغرباء . أما المواطنون الأحرار فكانوا لا يعاقبون بها . كانت هذه العقوبة تنفذ فى حالة الجرائم الخطيرة كخيانة الدولة وسرقة المعابد والهرب من الجندية .. و يشهد التاريخ أن الرومان خلال ثورات

العبيد صلبوا اعداداً كبيرة منهم .. و يذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودى المعاصر لخراب أورشليم وهيكلها ، أن تيطس القائد الرومانى كان يصلب خمسمائة يهودى كل يوم !! و يبدو أن قصد الرومان من استخدام هذه العقوبة بالذات كان هو تثبيت سلطانهم فى الدولة . و يفسر ذلك أن تنفيذ هذه العقوبة كان يتم فى مكان مكشوف ، حتى يصبح منظر المحكوم عليه بالصلب رادعاً للآخرين ... **وقد ألغى الملك قسطنطين الكبير عقوبة الاعدام صلباً لأسباب دينية .**

و يبدو أن بنى إسرائيل عرفوا هذه العقوبة ، فقد اشير فى سفر التثنية إلى ميتة الصليب ... «إذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم . لأن المعلّق ملعون من الله . فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً » (تثنية ٢١ : ٢٢) .

أما عن الاجراءات الثانوية التى كانت تصاحب عقوبة الصلب ، فيمكن جمع معلومات عنها مما ورد فى كتابات كتّاب العالم القديم ، ومن القانون الرومانى ، والتلمود ، وما ذكره آباء الكنيسة ... فى بعض الأحيان كان المحكوم عليه بالصلب كان **يحمل حول رقبته لوحة مكتوباً عليها علة موته .** وكان عليه **أن يحمل بنفسه الصليب إلى مكان تنفيذ حكم الموت .** وهناك كان **يخلع ملابسه و يُجلد إن لم يكن قد تم جلده قبل ذلك .** ووفقاً للعادة القديمة كان مسموحاً لمنفذى حكم الصلب أن **يتقاسموا ثياب المحكوم عليه فيما بينهم ...** وفى مكان تنفيذ الصلب

كان المحكوم عليه يُطرح أرضاً ، و يُربط معصماه فى الخشبة أو يُدق فيهما مسامير و يثبتان بالصليب . ثم يرفع الصليب بالمصلوب عليه .

كان ارتفاع الصليب نحو سبعة أقدام . وهذا يعنى أن الوحوش المفترسة كان فى استطاعتها أن تنهش جسد المصلوب وتمزقه ... **أما عن موت المصلوب فكان عادة يتم بسبب الاختناق التدريجى والاجهاد المتزايد .** وكان التنفس يزداد صعوبة شيئاً فشيئاً ، كنتيجة لوضع الجسم المُدلىّ . وهذا يؤدى بدوره إلى الاختناق .

وقد حمل الفلاسفة والمفكرون القدماء عقوبة الموت صلباً ... كان الصلب بالنسبة لشيشيرون ـ الذى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد ـ هو التعبير عن الوحشية والهمجية فى أسوأ صورها ... يقول [فليُبعد الجلاد وتغطيه الرأس واسم الصليب عن جسم وحياة المواطنين الرومان ، وعن أفكارهم وعيونهم وآذانهم] .

كلمة الصليب فى أسفار العهد الجديد :

لم يرد لفظ الصليب فى أسفار العهد القديم ، لكنه ورد بأكثر من معنى فى كتاب العهد الجديد . فالكلمة التى تترجم حالياً « صليب » ، تفيد فى اللغة اليونانية آلة تعذيب واعدام . ولكنها اكتسبت معنى خاصاً لارتباطها بموت المسيح ... **هناك كلمتان مستعملتان للتعبير عن آلة التعذيب التى نُفّذ بها حكم الموت على الرب يسوع : اكسيلون XYLON وتعنى خشبة أو شجرة ؛ استاوروس STAUROS وتعنى صليب بمفهومه الحالى ...**

الكلمة الأولى (اكسيلون) وردت فى العهد الجديد عادة للتعبير عن الخشب كمادة. وهى الكلمة التى وردت فى (تثنية ٢١ : ٢٣)، والتى اقتبسها بولس الرسول فى (غلاطية ٣ : ١٣) «ملعون كل مَنْ عُلّق على خشبة». **وعلى أية الحالات فإن كلمة «اكسيلون» فى العهد الجديد يمكن أن تكون مرادفة لكلمة استاوروس، التى استخدمت فى الأناجيل فى ذكر تنفيذ حكم الموت على السيد المسيح، وفى رسائل بولس الرسول للتعبير عن آلام المسيح وموته :**

يقول بطرس الرسول «إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة» (أعمال الرسل ٥ : ٣٠). وفى بيت كرنيليوس قائد المائة، قال بطرس للحاضرين عن المسيح «الذى أيضاً قتلوه معلقين إياه على خشبة» (أعمال الرسل ١٠ : ٣٩)... وفى رسالته الأولى يقول «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن الخطايا للبر» (بطرس الأولى ٢ : ٢٤)... ويقول بولس الرسول «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلّق على خشبة» (غلاطية ٣ : ١٣).

وقد وردت كلمة استاوروس ومشتقاتها مرتين فى العهد الجديد. **المرة الأولى فى قصة آلام المسيح** (مرقس ١٥ : ١ - ٤٧؛ متى ٢٧ : ١؛ لوقا ٢٣ : ١ - ٥٦؛ يوحنا ١٨ : ٢٨؛ ١٩ : ٢٤؛ رؤيا ١١ : ٨). **والمرة الثانية فى رسائل بولس الرسول**، ووردت فيها سبع عشر مرة (كلمة الصليب وردت ٧ مرات - كلمة يصلب وردت ثمان مرات - كلمة يصلب مع وردت

مرتين) ... وإلى هذه يمكن أن يضاف ما جاء فى (عبرانيين ٦ : ٦ ؛ ١٢ : ٢) ؛ وما جاء فى الثلاثة أناجيل الأولى عن حمل الصليب (مرقس ٨ : ٣٤ ؛ متى ١٦ : ٢٤ ؛ لوقا ٩ : ٢٣ ؛ مرقس ١٠ : ٣٨ ، لوقا ١٤ : ٢٧) ...

قلنا إن كلمة « اكسيلون » اليونانية تعنى شجرة ، وهى فى نفس الوقت مرادفة لكلمة « استاوروس » ... **إن هذا يقودنا للتفكير فى شجرة الحياة التى كانت فى وسط الجنة** (تكوين ٢ : ٩) ... تلك التى بعد أن طُرد الإنسان الأول من الجنة ، اقيم كاروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة الطريق إليها . وهى التى قال الله عنها « لعله (الإنسان) يمد يده و يأخذ من شجرة الحياة أيضاً و يأكل ويحيا إلى الأبد » (تكوين ٣ : ٢٤ ، ٢٢) ... كان هذا فى سفر التكوين (سفر الخليقة) . وتعود هذه الشجرة ـ شجرة الحياة ـ للظهور ثانية فى سفر الرؤيا « مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله » (رؤيا ٢ : ٧) . ونقرأ عن أورشليم الجديدة فى سفر الرؤيا ، انه على جانبى نهر الحياة فيها تنمو « شجرة حياة تصنع ثنتى عشرة ثمرة وتعطى كل شهر ثمرها . وورق الشجرة لشفاء الأمم » (رؤيا ٢٢ : ٢) ... ونقرأ أن الأبرار وحدهم لهم سلطان على هذه الشجرة (رؤيا ٢٢ : ١٤) . **وهكذا نرى أنّ ما كان ممنوعاً ومحرماً على الإنسان الأول صار مباحاً للخليقة الجديدة ... إن شجرة الحياة ترمز للحياة ، وتقدّم الحياة عكس ما يقدمه الصليب (الخشبة) ألاَ وهو الموت ...**

مثال الصليب فى العهد القديم :

معلوم أن أسفار العهد القديم مليئة بالنبوات والرموز عن السيد المسيح . وواضح أن مهمة العهد القديم بأسفاره المقدسة وذبائحه وأنبيائه وبكل ما فيه كانت هى تهيئة أذهان بنى إسرائيل لقبول المسيّا ... ومن بين هذه النبوات والرموز ما يختص بالصليب الذى مات فوقه الفادى ... **من هذه الإشارات والرموز:**

١ ـ فى حادث تقديم إبراهيم ابنه إسحق ذبيحة محرقة حسب أمر الله ، حمل إسحق حطب المحرقة ، وهو رمز للصليب الذى حمله ربنا يسوع المسيح وهو ذاهب ليصلب ... وفى الموضع الذى حدّده السيد الرب بنى إبراهيم مذبحاً وربط إسحق ابنه ووضعه فوق المذبح . وهذا رمز لما حدث مع المسيح حينما سُمرّ على الصليب (تكوين ٢٢ : ٦ ، ٩ ؛ يوحنا ١٩ : ١٧) .

٢ ـ وعندما قدم يوسف ابنيه افرايم ومنسى لأ بيه يعقوب ليباركهما قبيل موته ، مدّ يديه مثال الصليب وباركهما على غير ما كان متوقعاً (تكوين ٤٨) .

٣ ـ وأثناء محاربة بنى إسرائيل لشعب عماليق بعد خروجهم من مصر ، وقف موسى النبى أعلا التلّ باسطاً ذراعيه مثال الصليب . وفيما كان يفعل ذلك كان إسرائيل ينتصر ، وحينما كان يُخفض ذراعيه

بحكم الضرورة كان إسرائيل ينهزم. ولهذا جيء بحور وهارون ليسندا ذراعى موسى ليظلا مرفوعين. وبهذا انتصر إسرائيل.

٤ ـ وعندما تذمر بنو إسرائيل فى البرية ـ عقب خروجهم من مصر ـ على الله وعلى موسى، ضربهم الله بالحيات المحرقة، فلدغت الشعب ومات عدد كبير منهم. ولما صرخوا واعترفوا بخطئهم **أمر الله موسى أن يصنع حية من نحاس شبه الحية المحرقة تماماً، ويرفعها على راية.** وكل مَنْ لُدغ من الحية الحقيقية وينظر إلى حية النحاس يبرأ ويحيا (سفر العدد ٢١ : ٥ـ ٩) ... **كانت الحية النحاسية مثالاً للمسيح، بينما كانت الخشبة التى رُفعت عليها عالياً رمزاً لخشبة الصليب.** وإلى ذلك اشار السيد المسيح بقوله « كما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان، لكى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٤، ١٥).

٥ ـ كان خروف الفصح بعد ذبحه حسب الشريعة، لا يؤكل نيئاً أو مطبوخاً بل مشوياً. وكان الخروف يُشوى على سفودين (سيخين) متعامدين على هيئة صليب.

٦ ـ **وفى شريعة تطهير الأبرص بعد شفائه**، كان عليه أن يحضر **قطعة من خشب الأرز.** وتوضع فى ماءٍ حىّ فى إناء خزفى. ويحضر عصفورين. يذبح أحدهما ويُصفىّ دمه على الماء الحىّ فى الإناء الخزفى، ويدفن فى حفرة أمام الكاهن والأبرص الذى شفى. ثم يغمس جناح العصفور الثانى الحىّ ويطلق نحو البرية. إن **هذه الخشبة مثال للصليب.** والعصفور الذى ذبح

رمز للمسيح الذبيح ، أما الآخر الذى غمس جناحه بالدم فيرمز إلى المسيح القائم من بين الأموات الذى -بدم نفسه- دخل مرة واحدة إلى الاقداس فوجد فداءً أبدياً (عبرانيين ٩ : ١٢) .

هذه المثالات والرموز كانت واضحة للمسيحيين منذ البدء . ولقد فهم آباء الكنيسة ومعلّموها ما ترمز إليه هذه الرموز وعبّروا عن ذلك بكل وضوح ...

أ - يوستينوس الشهيد المدافع المسيحى الذى ولد فى اواخر القرن الأول الميلادى واستشهد سنة ١٦٦ فى حواره مع تريغو اليهودى فى مدينة أفسس يقول :

[فى العهد القديم مثالات متنوعة لخشبة الصليب التى بها ملك المسيح ... لقد رُمز له (الصليب) بشجرة الحياة التى ذُكر أنها غُرست فى الفردوس ... **وأرسل موسى ومعه العصا (الخشبية) ليخلص الشعب . وبهذه العصا** فى يديه وهو على رأس الشعب ، **شقّ البحر الأحمر.** وبها **تدفقت المياه من صخرة .** وعندما **القى بشجرة فى مياه مارّة** المرّة صارت عذبة ... و يعقوب تباهى بعصاه بأنه عبر بها الأردن ... **وعصا هارون التى افرخت** اعلنته كاهناً أعظم . **وتنبأ إشعياء عن قضيب ينبت من جذع يسى ،** وكان هذا هو المسيح . و يقول داود عن الإنسان البار انه كشجرة مغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمارها فى اوانه وورقها لا يذبل . ومرة أخرى يقول عن الصدّيق انه كالنخلة يزهر . **لقد ظهر الله لإبراهيم عند شجرة قرب بلوطات ممرا .** وقد وجد الشعب سبعين نخلة واثنى عشر

عين ماء بعد عبور البحر الأحمر. **ويؤكد داود أن الله عزّاه بعصا وعكاز...]** .

ويشير يوستينوس إلى أن بسط موسى لذراعيه فى حرب بنى إسرائيل مع شعب عماليق إنما كان مثالاً للصليب. وكذلك مباركة يعقوب لابنى يوسف، والحية النحاسية التى رُفعت فى البرية... [ليس بدون قصد أن موسى النبى عندما عاونه حور وهارون، ظلّ على هذا الوضع حتى المساء. فلقد ظل الرب على الخشبة تقريباً حتى الغروب ودفن بعدها... وإشعياء أشار أيضاً إلى الطريقة التى مات بها الرب قائلاً : **« بسطت يدىَّ طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح »** (إشعياء ٦٥ : ٢ ؛ رومية ١٠ : ٢١)] .

ب ـ وغريغوريوس أسقف نيصص فى كتابه « حياة موسى » يقول :

[عندما بسط موسى يديه من أجل المصريين هلكت الضفادع فى الحال . وهذا ما يمكن مشاهدته يحدث الآن. **لأن أولئك الذين يرون الأيدى الممتدة لمعطى الناموس (موسى) ، وفى يديه المبسوطتين، ذاك الذى مدّ يديه على الصليب ...]** .

ويقول فى كلامه عن الماء المرّ فى البرية [لأن الشخص الذى خلّف وراءه ملّذات مصر... تبدو له الحياة الخالية من هذه الملذات صعبة وغير مقبولة فى أول الأمر. **لكن إذا القيت الخشبة فى الماء ـ بمعنى أنه إذا اقتبل الإنسان سرّ القيامة التى تبدأ بالخشبة (ولا شك أنك تدرك**

الصليب عندما تسمع الخشبة) ، حينئذ تصبح الحياة الفاضلة أحلى وأعذب مذاقاً من كل الحلاوة التى تداعب الحواس باللذة] .

و يقول عن محاربة بنى إسرائيل لعماليق ورفع موسى ليديه [لأن سر الصليب فى الحقيقة لأولئك الذين يستطيعون الرؤيا ، يمكن ادراكه بالتأمل ... لقد امتدت يدا موسى معطى الناموس فكانت سبباً للنصر ورمزاً مسبقاً لسرّ الصليب] .

وعن الحية النحاسية يقول القديس غريغوريوس [العمل الأساسى للإيمان فى السرّ، هو أن ننظر إلى ذاك الذى تألم لأجلنا . **الصليب هو الألم . حتى أن من ينظر إليه كما يقول النص لا يؤذيه سم الشهوة . أن تنظر إلى الصليب ، يعنى أنك تميت حياتك كلها وتصلبها للعالم] .**

لماذا اختار المسيح أن يموت مصلوباً ؟

هناك تساؤلان :

الأول - لماذا لم يَخْتَر المسيح طريقة مجيدة لموته بدلاً من ميتة العار بالصليب ؟

الثانى - لماذا اختار المسيح أن يموتِ مصلوباً ؟

وعن هذين التساؤلين يجيب القديس أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية اللاهوتى فى كتابه تجسّد الكلمة ... يقول رداً على التساؤل الأول ... [لوفعل (المسيح) هذا لأعطى فرصة للتشكك فى شخصه بأنه لم يكن يقوى على كل موت ، بل على الموت الذى اختاره لنفسه فقط ،

ولوجدت هنالك فى نفس الوقت علّة لعدم الإيمان بالقيامة أيضاً . لهذا أتى الموت إلى جسده ـ ليس باختياره هو ـ بل بمشورة أعدائه . حتى إذا ما أتوه بأى شكل من الموت استطاع أن يبيده كلية . وكما أن المصارع النبيل ، مهما كان مقتدراً فى الذكاء والشجاعة لا يختار خصومه الذين يبارزهم ، لئلا يُشَك فى أنه يرهب أشخاصاً معينين منهم بل يترك الاختيار للمشاهدين ، سيما إذا اتفق بأن يكونوا أعداءه ... كذلك كان الحال أيضاً مع ربنا ومخلصنا يسوع المسيح حياة الجميع . فإنه لم يَخْتَر لجسده موتاً معيناً ، لئلا يُظَن بأنه خشى شكلاً آخر من الموت ، ولكنه قبل موت الصليب واحتمل الموت الذى أوقعه عليه الآخرون سيما أعداؤه ، والذى ظنوه مرعباً ومحتقراً ولا يمكن التغلب عليه ، حتى إذا ما أباد ذلك الموت أيضاً ، آمن الجميع بأنه هو الحياة ، وابيد سلطان الموت نهائياً ... ولم يمت موت يوحنا بقطع رأسه وفصلها عن جسده ، ولا مات موت إشعياء بنشر جسده وشطره نصفين ، وذلك لكى يحفظ جسده سليماً غير مجزأ حتى فى موته] .

ويلخص أثناسيوس رده على التساؤل الثانى فى ثلاث نقاط : كان يجب أن يحمل عنا اللعنة ـ بسط يديه على الصليب لكى يوحّد العالم كله يهوداً وأمماً فى شخصه ـ الانتصار على الشيطان رئيس سلطان الهواء ...

يقول أثناسيوس [لأنه إن كان قد أتى ليحمل عنا اللعنة الموضوعة علينا فكيف كان ممكناً أن يصير لعنة ما لم يمت موت اللعنة الذى هو الصليب ، لأن هذا هو المكتوب تماماً « ملعون كل مَنْ عُلّق على خشبة » (تثنية ٢١ :

٢٣ ؛ غل ٣ : ١٣) . وأيضاً إن كان موت الرب قد صار كفارة عن الجميع ، وبموته نقض حائط السياج المتوسط (أفسس ٢ : ١٤) ، وصارت الدعوة لجميع الأمم ، فكيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يُصلب ؟ لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلاَّ على الصليب . لهذا لاق بالرب أن يحتمل هذا الموت و يبسط يديه ، حتى باليد الواحدة يجتذب الشعب القديم ، و بالأخرى يجتذب الذين هم من الأمم ، و يتحّد الاثنان فى شخصه . هذا هو ما قاله بنفسه مشيراً إلى آية ميتة كان مزمعاً أن يفدى بها الجميع « وأنا ان ارتفعت عن الأرض اجذب إلى الجميع » (يوحنا ١٢ : ٢٣) .

ثم يعلق أثناسيوس على كلمات الرسول « حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية » (أفسس ٢ : ٢) . فيقول إن الرب جاء ليطرح الشيطان إلى أسفل و يطهّر الجو، و يهىء لنا الطريق المرتفع إلى السماء . وهذا يستلزم أن يكون بالموت « الذى يتم فى الهواء - أعنى بالصليب . لأن مَن مات على الصليب هو وحده الذى يموت معلقاً فى الهواء] .

الأسانيد التاريخية غير الكتابية على صلب المسيح :

هل المسيح مات حقاً على الصليب ؟ ... هذا هو السؤال الذى نود أن نناقشه ...

القول بعدم موت المسيح على الصليب ليس رأياً حديثاً . فمنذ وقت مبكر من تاريخ المسيحية قام من يقول بهذا الرأى ... **كان الغنوسيون هم**

أول من نادى بهذه الأفكار الخاطئة. أما الدافع الذى دفع هؤلاء الغنوسيين إلى ذلك فكانت مباداءهم وآراءهم... وتسمية الغنوسيين مستمدة من الكلمة اليونانية غنوسيس أى معرفة، ومن ثمّ يمكن تسميتهم بالعارفين أو الأدريين...

والغنوسية هى نتاج عناصر مختلفة التقت ببعضها كاليهودية والمسيحية والفلسفة اليونانية والثنائية الفارسية والمبادىء والآراء الصوفية الشرقية... والغنوسية سابقة للمسيحية، فقد كانت هناك غنوسية يهودية قبل المسيحية. وعلى الرغم من أن الغنوسية المسيحية لها أصولها الوثنية واليهودية، فقد اعتبرت هرطقة مسيحية، لأنهم استعادوا بعض الفاظ مسيحية... والغنوسية ليست مذهباً واحداً، بل مذاهب متعددة... من أهم مبادىء الغنوسية القول بثنائية بين الله والمادة. لقد اعتبروا المادة شراً وبالتالى الجسد المادى... نادت الغنوسية بالمعرفة بدلاً من الإيمان. ويصرّ الغنوسيون على أن المعرفة ـ وليس الإيمان ـ هى السبيل إلى الخلاص. واقتناء المعرفة حسب رأيهم لا تكون بالبحث والدراسة بل بالإشراق. والاشراق هو الاتجاه إلى الله بكل ما فى النفس من قوى التخيلّ والتصورّ...

ولأن الغنوسيين نظروا إلى المادة على أنها شر، وبالتالى الجسد، فقد انكروا مجىء المسيح فى جسد مادى، وبالتالى موته على الصليب. إذ كيف يتحد الله القدوس مع الجسد المادى وهو شر حسب زعمهم. إلى هؤلاء الغنوسيين الهراطقة أشار يوحنا الرسول وحذّر منهم المؤمنين

بقوله «لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله. لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذى سمعتم انه يأتى والآن هو فى العالم» (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١ - ٣) ... كما يقول أيضاً «مَنْ هو الكذاب إلاَّ الذى ينكر أن يسوع هو المسيح. هذا هو ضد المسيح، الذى ينكر الآب والابن. كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً. ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً» (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢٢، ٢٣).

ليس هدفنا هنا اثبات صلب المسيح وموته من الأسفار المقدسة، بل من التاريخ العام.

يقول العالم اللاهوتى الألمانى هانز رودى وبر Hans-Ruedi Weber فى كتابه «الصليب» ... [لقد صُلب يسوع الناصرى زمن بيلاطس البنطى. هذه حقيقة لا يمكن أن يشك فيها أحد، إلاَّ إذا تجاهل عن عمد كل الروايات الكتابية وغير الكتابية التى وصلت إلينا] ... ونعرض الآن لبعض هذه المصادر:

١ - ولعل أهم المصادر غير الكتابية عن الصلب هو ما كتبه المؤرخ الرومانى تاسيتوس Tacitus (٥٦ - ١٢٠ م) فى حولياته Annals عن حريق روما على عهد نيرون والمتسببين فى هذا الحريق ... إنه يشير إلى المسيحيين

الذين نكلّ بهم نيرون ، و يشرح من أين أخذوا اسمهم ... [الاسم مشتق من كرستوس CHRISTUS ، الذى **فى حكم تيبريوس حكم عليه بالموت بواسطة الحاكم بيلاطس البنطى.** ولفترة قصيرة حُظر تعليمه الخرافى الضار. ولكن سرعان ما ظهر ثانية - ليس فى اليهودية وحدها حيث ظهر، بل فى روما حيث كل ما يدعو إلى الاشمئزاز والخوف والخزى ، يتجمع من كل مكان ويجد له اتباعاً] .

٢ - وهناك نصّ مقتبس من يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم وهيكلها سنة ٧٠م فى كتابه آثار اليهود . ولقد خضع هذا النص الباقى لمراجعة مسيحية دقيقة . والنص يذكر الصلب فى جملة مقتضبة واحدة ... قال [عند اتهام مواطنينا الشرفاء ، **حكم بيلاطس البنطى عليه بالموت صلباً .** وقد ظلت محبة الذين كرّسوا أنفسهم له دون نقصان] .

٣ - لوسيان الساموساطى الذى ولد حوالى سنة ١٠٠ م ، ومن أشهر الفلاسفة الوثنيين أعداء المسيحية. يقول فى كتابه « موت بريجرينوس » [**إن المسيحيين لايزالون يعبدون ذلك الرجل العظيم الذى صُلب فى فلسطين ،** لأنه أدخل إلى العالم هذه الديانة الجديدة . وان هؤلاء المفتونين قد اقنعوا أنفسهم بأنهم لن يموتوا بل يخلدوا إلى الأ بد . ولهذا السبب تراهم يستخفون بالموت . وكثيرون منهم يسلّمون أنفسهم طواعية واختياراً . وكذلك فإن مشرّعهم الأ ول قد علّمهم بأنهم جميعاً اخوة الواحد للآخر، طالما ينبذون آلهة اليونان **ويعبدون ذلك الصوفى المصلوب .** و يعيشون حسب شريعته] .

٤ - **كلسوس الفيلسوف الابيقورى ...** كتب كتاباً اسماه « البحث عن الحقيقة » حوالى سنة ١٧٠ م ، هاجم فيه المسيحية هجوماً عنيفاً . فقد كان ينظر إلى المسيحية على أنها خرافة دنيئة . و يشير باستهزاء إلى آلام المسيح وقوله « يا ابتاه إن امكن فلتعبر عنى هذه الكأس » ... **و يشير إلى الذين صلبوه بقوله [أولئك الذين صلبوا إلهكم]** . و يهاجم المعتقد المسيحى القائل بأن المسيح احتمل هذه الآلام لخير البشرية . ويحاول أن يهزأ من القول بقيامة المسيح . **كما يهزأ من قول المسيحيين عن المسيح انه « صلب العالم لى وأنا للعالم » ...** وقد كتب العلامة القبطى السكندرى اوريجنيوس مؤلفاً ضخماً فنّد فيه كل ادعاءات كلسوس الكاذبة وافتراءاته على المسيحية .

٥ - فى نصّ قديم للتلمود ، الذى يحوى ذكريات تاريخية مستقلة عن المصادر المسيحية ، جاء ما يأتى [**فى ليلة عيد الفصح عُلّق يسوع الناصرى** . ولمدة أربعين يوماً سبقته صيحات تقول : يجب أن يرجم يسوع الناصرى لأنه ساحر ، أغوى إسرائيل وطوّح بها بعيداً !! من يعرف تبرئةً له فليتقدم و يتكلم عنه . لكن لم توجد تبرئة له ولذا فقد عُلّق ليلة الفصح] ... ونلاحظ أن هذا النص التلمودى يُسجل تهمتين على الرب يسوع : الغواية والضلال . إنه يستخدم نفس المفاهيم اليهودية الواردة فى (تثنية ١٣ : ١ - ١١) . وهذا يذكرنا بالاتهامات المتصلة بالتجديف الوارد فى (مرقس ٣ : ٢٢) ... [Hans-Ruedi Weber; The Cross P. 25] .

كفـــن المســـــيح :

ونحن بصدد الكلام عن الصليب نرى من المفيد أن نعرض لموضوع اثير فى السنوات الأخيرة على المستوى العلمى، ذلك هو موضوع كفن المسيح ... ومرجعنا فى هذا الموضوع كتاب عنوانه Turin Shroud « كفن تورين » حيث أن هذا الكفن محفوظ بكاتدرائية يوحنا المعمدان بمدينة تورينو بإيطاليا . وكاتب الكتاب يدعى إيان ويلسون Ian Wilson ، وهو أحد العلماء الذين اشتركوا فى الابحاث والدراسات التى تمت على الكفن . وقد استمرت هذه الدراسات خمس سنوات من سنة ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٧٨ ... **والعجيب أن هذا العالم كان وجودياً لا يؤمن بدين . وكانت هذه الدراسة سبباً فى إيمانه بالمسيح ، واصبح عضواً عاملاً بالكنيسة .**

اشترك فى دراسة هذا الكفن عشرات العلماء المتخصصين فى فروع العلم المختلفة من بلاد متفرقة كأمريكا وفرنسا وسويسرا والنمسا وانجلترا ... (أكثر من أربعين عالماً) ولم تموّل هذه الابحاث أية هيئة، بل درس هؤلاء العلماء الكفن بدافع شخصى وللبحث العلمى وحده، لتفنيد رأى الكنيسة. وكان بعضهم متشدداً، والبعض الآخر كان يقرأ الإنجيل ليجد فيه دليلاً على عكس ما تنادى به الكنيسة .

تكررت المحاولات على مدى السنين مع المسئولين عن الكنيسة للسماح للعلماء بفحص هذا الكفن لكن رجال الكنيسة فى تشددهم

لم يسمحوا بذلك. وكان هذا التأجيل بحكمة إلهية حتى يأتى السماح بهذا العمل فى وقت تتوفر فيه الآلات العلمية الحديثة. الكفن عبارة عن قطعة واحدة من الكتان الأ بيض طوله حوالى ٤,٢٥ متراً وعرضه حوالى ١,٢٥ متراً. وفى الكفن صورة أمامية وأخرى خلفية لإنسان طوله ١٨١ سم ... والصورة Negative وهو وضع مستحيل. فلا يمكن لأى فنان أن يرسم صورة Negative ـ لا توجد حدود للصورة ونفس فن التصوير لم يُعرف إلاَّ منذ نحو مائة عام ... وبناء عن هذا الطول يقول علماء الاجناس إنه لإنسان طويل القامة ومن شعوب حوض البحر المتوسط ... لقد تعرض الكفن للحريق سنة ١٥٣٢ نتيجة حرق الكنيسة كلها. وحرق الصندوق الذى يحتوى على الكفن، لكنه لم يتأثر بالحريق، كل ما هنالك حريق طفيف لحق بأطرافه. وقد بحث العلماء عن نوع الاصباغ المرسومة بها الصورتين، لكنهم لم يجدوا أى نوع من الأصباغ. فالصورة موجودة لأكثر من فتلة واحدة فى النسيج.

قال علماء التشريح والطب الشرعى إن الصورة التى للإنسان الذى وضع فى الكفن تدل على انه فى الثلاثينيات. وهو إنسان يعمل عملاً شاقاً، وعرفوا ذلك من الآثار التى فى اليد. وقالوا إن الكتف الأيمن مرتخى عن الكتف الأ يسر وذلك نتيجة العمل باليد اليمنى ... كانت الرجل الشمال موضوعة على الرجل اليمين والمسمار فى المشط بين السلامية الثانية والثالثة. المسمار الذى سُمرّ فى اليدين ـ ليس فى الكف بل فى عظام الرسغ. والعظام لم تُكسر اتماماً للنبوة ... والشوك الذى وضع على رأس المسيح لم يكن إكليلاً بحسب مفهومنا، بل كانت طاقية شوك غرسوها،

ووجدوا آثارها من الجبهة حتى قمة الرأس .

آثار الدماء على الوجه تأخذ منظر Zigzag نتيجة تقلّص عضلات الوجه بسبب الآلام الشديدة. وقال العلماء إن الكفن لإنسان مصلوب ، فقد شاهدوا سير الدماء فى الأيدى وقاسوا الزاوية بين الرأس وبقية اليد فوجدوها ٦٥ . ومنظر الدم السارى من الرسم سارى بهذه الصورة... وجدوا أن الكتف فيه سحجات نتيجة حمل الصليب . وتوجد كدمات كثيرة جداً فى الوجه ، وأجزاء متورمة ، كما يوجد قطع على شكل مثلث فى الخد الأيمن وهومن كثرة اللطم فى بيت رئيس الكهنة ودار الولاية .

الجراحات الموجودة بالظهر فى شكل دائرتين غائرتين متصلتين ببعضهما . وعدد هذه الدوائر يتراوح بين ١٠٠ ، ١٢٠ . بحثوا عن أنواع السياط التى جُلد بها فوجدوا انه السوط الرومانى المحفوظ عينة منه بالمتاحف . وهو سوط ذو ثلاث شعب تنتهى كل شعبة بقطعتين معدنيتين ... وقالوا إن هذا الإنسان تناوب على جلده اثنان . وكان الذى يضرب من جهة اليمين أطول ممن يضرب من جهة الشمال . والضارب جهة الشمال كان قصيراً وعنده سادية أى غزيرة حب الانتقام ، لأن ضرباته اعمق منها فى الجهة اليمنى .

الفتحة الموجودة فى الجنب الأيمن التى سال منها كمية دماء ضخمة ـ الفتحة شكلها شكل مقدم الرمح الرومانى وهو شكل ورق الشجر ، والفتحة بميل وموجودة بين الضلع الخامس والسادس ... والماء الذى سال قال بعض العلماء إنه من السائل المحيط بالقلب لكن هذا كميته قليلة (فى

حجم معلقة الشروبة)، وقالوا يمكن أن القلب يفرز أكثر نتيجه الاجهاد الكبير. ورأى ثان لفريق آخر من العلماء أن هذا الماء من السائل المحيط بالرئتين وهو الرأى الارجح ، وهو نتيجة الشد العضلى ، ويمكن أن تزداد كميته .

آلام المسيح الشديدة جداً على الصليب سببها تنفس المصلوب . ففى كل مرة لا بد وأن يصعد بجسمه إلى أعلا فيضغط على الجراحات ...

يقول علماء النبات أنه يمكن معرفة موطن هذا الإنسان بفحص حبوب اللقاح اللاصقة بقماش الكفن. وحبة اللقاح حجمها مليون/١ من المليمتر، ولا ترى إلاَّ بالميكروسكوب الالكترونى ... اخذوا بعض التراب اللاصق بالكفن ودرسوها لمدة ثلاث سنوات لمعرفة النباتات التى تتبعها حبوب اللقاح وأين تنمو. وعلى هذا الأساس وجدوا أن هذا الكفن كان موجوداً فى مرسيليا وباريس والقسطنطينية (استانبول) وقبرص وصور وصيدا وتورينو وافيلينو Avelino بإيطاليا ... لكن إلى جانب ذلك وجدوا مجموعة من حبوب اللقاح لم يتوصلوا إلى حقيقتها ومكان وجودها . وعلى هذا الأساس أقام واحد من العلماء لمدة ستة شهور فى أورشليم القدس . وهناك وجد النباتات التى لا تنمو إلاَّ فيها والتى تتبعها حبوب اللقاح المجهولة .

أية صورة لها بعد ثالث ما عدا صورة الكفن فليس لها بعد ثالث رغم استعانتهم بأجهزة البحرية الأمريكية الغاية فى الدقة ... والصورة بلا رسم أو أصباغ ... قالوا قد يكون هذا الكفن قد تعرض لاشعاع معين. لكن علماء الطاقة الذرية نفوا معرفتهم لإشعاع يطبع صورة ... وأخيراً قالوا يحتمل

أن تكون هذه الصورة نتيجة خروج إشعاع معين وقت قيامة الرب يسوع ...

بحثوا عن عمر قماش الكفن بواسطة تجربة الكربون ١٤ ، ووجدوا أنه يرجع لحوالى الفين سنة .

أما عن وجه المسيح المطبوع على الكفن فلا يتفق مع ما رسمه فنانو اوربا . ولكنهم وجدوها تطابق الصور الموجودة فى الكنائس الشرقية التى رسمت فى قرون المسيحية الأولى . وأقرب الصور إليها هى صورة رسمها كيرلس الكبير البطريرك ٢٤ الاسكندرى فى القرن الخامس ، وصورة أخرى فى كنيسة ايا صوفيا ، وثالثة فى كنائس سوريا .

صليب المسيح تاريخياً :

ظهر الصليب الذى صُلب عليه المسيح حسب التقليد الكنسى على يد القديسة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين فقد سافرت إلى أورشليم بعد أن جاوزت السبعين من عمرها لتكشف عن قبر المخلص وتبنى كنيسة هناك . وبالفعل بنت كنيستين ، الأولى فوق القبر المقدس والثانية فوق مغارة بيت لحم ... وقيل انها تحمست لهذا العمل بواسطة رؤيا اعلنت لها ... **وبعد بحث كثير عن القبر المقدس عثرت عليه فى مايو سنة ٣٢٨ . أما السبب فى اختفاء مكان القبر المقدس كما يذكر المؤرخ الكنسى سقراط (٣٨٠ - ٤٥٠ م) فهو أن اليهود تعمدوا اخفاء معالم هذا المكان بعد أن كان يحج إليه مسيحيون كثيرون ، فكانوا يلقون عليه الاتربة والقاذورات حتى تكون فوقه ما يشبه الهضبة المرتفعة ، واقيم فوقها معبد للإله فينوس امعاناً فى اخفاء مصدر إيمان وعزاء**

المسيحيين. وقد أمرت هيلانة بهدم الهيكل ورفع الاتربة فوجدت ثلاثة صلبان على مسافة رمية حجر من موضع القبر المقدس. ووجدت صليب الرب يسوع وعليه العنوان الذى كتبه بيلاطس البنطى. وقد تأكدوا من أنه صليب الرب لما وضعوه على سيدة مريضة فشفيت فى الحال، وكان ذلك بحضور مكاريوس أسقف أورشليم آنذاك.

أول من أشار إلى حادث اكتشاف الصليب بواسطة الملكة هيلانة كان هو امبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩-٣٩٧م). فى عظة له القاها سنة ٣٩٥م. وعن امبروسيوس نقل كل من يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية (٣٤٧- ٤٠٧م). وبولينوس الأسقف الذى من نولا بفرنسا (٣٥٣- ٤٣١م)... ذكر هذه القصة المؤرخان الكنسيان سقراط (٣٨٠- ٤٥٠)، تيودوريت (٣٩٣-٤٥٨م) الذى ذكر أن هيلانة وجدت فى القبر المقدس المسامير التى سمرت بها يدا المخلص ورجلاه وارسلتها إلى ابنها الامبراطور قسطنطين الذى ثبت مسماراً منها على الخوذة الملكية التى كان يلبسها وهوخارج لخوض المعارك الحربية.

ومن الذين افاضوا فى الكلام عن خشبة الصليب المقدس القديس كيرلس الأورشليمى فى عظاته التى القاها سنة ٣٤٨م - بعد نحو عشرين سنة من اكتشاف خشبة الصليب... كان يخاطب المؤمنين فى كنيسة القيامة مشيراً إلى التابوت الموضوع فيه الصليب... يقول:

[لقد صُلب المسيح حقاً. ونحن وإن كنا ننكر ذلك فهذه هى الجلجثة تناقضنى التى نحن مجتمعون حولها الآن. وها هى خشبة

الصليب أيضاً تناقضنى التى توزع منها على كل العالم ... وخشبة الصليب تشهد للمسيح ، تلك التى نراها حتى هذا اليوم بيننا . وقد ملأت كل العالم بواسطة المؤمنين الذين أخذوا قطعاً منها إلى بلادهم] .

وفى خطاب ليولينوس الأسقف الذى من نولا بفرنسا إلى الكاتب والمؤرخ الكنسى سالبيسيوس نعلم أنه أرسل له مع الخطاب قطعة من خشبة الصليب المقدس ، **ويخبره أنه بالرغم من أن قطعاً كثيرة أُخذت من الخشبة ، إلاّ أن الخشبة لم تنقص قط ـ وهكذا ذاع القول أن خشبة الصليب تنمو من ذاتها .**

و يتفق كل من تيودوريت وسقراط المؤرخان الكنسيان أن هيلانة أرسلت قطعة من خشبة الصليب إلى القصر الامبراطورى فى القسطنطينية . ووضع بقية الصليب فى تابوت من الفضة داخل كنيسة القيامة ... والمعروف أن الملك قسطنطين أمر بتوزيع قطع من خشب الصليب المقدس على كافة كنائس العالم وقتذاك . وقد احتفظت كنيسة روما بقطعة كبيرة .

وقد ذكرت ايجيريا الراهبة الأسبانية التى قامت برحلتها أواخر القرن الرابع إلى الأماكن المقدسة ، ووصفت بدقة كل ما مرت به وشاهدته ، وضمتها طقوس وصلوات عيد الصليب أمام الصليب المقدس بكنيسة القيامة ...

وظلت خشبة الصليب المقدس بكنيسة القيامة حتى غزا الفرس الأراضى المقدسة ، واستولى خسرو الثانى ملك الفرس سنة ٦١٥م على

التابوت الفضى الذى يضم قطعة الصليب المقدس وحمله معه إلى بلاده، وظل هناك حتى استرده الامبراطور هرقل سنة ٦٢٩م ووضع فى كنيسة القيامة، ومنها إلى القسطنطنية سنة ٦٣٦م خوفاً من وقوعه فى أيدى الغزاه... و يشهد اركلفوس Arculfus الذى زار القسطنطنية سنة ٦٧٠م أنه رأى الصليب فى كنيسة أجيا صوفيا... بعد ذلك لا نعلم ماذا حدث لما تبقى من الصليب المقدس...



عــثرة الصــليب

لماذا الصليب عثرة ؟

لماذا الصليب جهالة ؟

مَنْ هم الذين عثروا بالصليب ؟

ــ غير المؤمنين ــ الهراطقة .

العثرة فى الصليب روحياً :

ــ ضد الإيمان ــ ضد محبة الله ــ ضد التسليم لله ــ ضد الاتضاع

معطلات الصليب :

فى الحياة الروحية .

فى الخــدمة .

يقول القديس بولس الرسول « لأن اليهود يسألون آية ، واليونانيين يطلبون حكمة . **ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين ، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله** » (كورنثوس الأولى ١ : ٢٢ـ ٢٤) .

لماذا الصليب عثرة ؟

يقول بولس الرسول « نحن نكرز **بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة** » ... **فماذا الذى أعثر اليهود فى الصليب ؟** هناك فرق كبير جداً بين تقديم المسيح لإنسان يهودى ، وتقديمه لإنسان وثنى ، أو تبشير يهودى بالمسيح ، وتبشير وثنى بالمسيح ... **بالنسبة لليهود توجد أرضية مشتركة بين المسيحيين وبينهم ، هى كتاب العهد القديم ...** وهذا بلا شك يسّهل مهمة تبشير اليهودى وإيمانه ... أما بالنسبة للوثنيين فالأمر يختلف ، إذ لا يوجد شىء مشترك بيننا وبينهم ... **ويقدم لنا سفر أعمال الرسل مثلين على ذلك . عظة بولس الرسول الكرازية فى المجمع اليهودى فى مدينة أنطاكية بيسيدية (أعمال الرسل ١٣ : ١٦ـ ٤١) ، وخطابه الكرازى الذى وجهه فى مدينة أثينا فى الأريوس باغوس إلى جماعة من الفلاسفة الوثنيين** (أعمال الرسل ١٧ : ٢٢ـ ٣١) ... وعلى الرغم من وجود هذه الأرضية المشتركة مع اليهود ، فقد كان الصليب عثرة بالنسبة لهم ... **والسؤال لماذا ؟**

يورد القديس لوقا فى الأصحاح الأخير من بشارته قصة تلميذين للمسيح ، كانا يسيران من أورشليم فى الطريق إلى قريتهما عمواس التى

تبعد عنها مسافة ستين غلوة تقطع سيراً فى ساعتين . كان ذلك مساء يوم أحد القيامة ... كانا يسيران عابسين ، وقد ملأت خيبة الأمل قلبيهما ... كانا يتحدثان فى الطريق عن أحداث صلب الرب يسوع ... وفيما هما فى الطريق ظهر لهما الرب يسوع ، وسار معهما ، ولكن امسكت أعينهما عن معرفته ولما سألهما عما يتحدثان فيه ، ولماذا يسيران عابسين ، أجابه احدهما ... « **هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ، ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ... المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب . كيف اسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه . ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل . ولكن مع هذا كله ، اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك . بل بعض النساء منا حيّرننا إذ كنّ بأكراً عند القبر ، ولمّا لم يجدن جسده ، أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حيّ . ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضاً النساء . وأما هو فلم يروه** » ... **وهنا قال لهما الرب « أيها الغبيّان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء . أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده . ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب** » (لو ٢٤ : ١٣ - ٢٧) .

نحن هنا أمام اثنين من تلاميذ المسيح نفسه ، عاينا معجزاته ولازماه فى كرازته نحو ثلاث سنوات ، ومع ذلك نراهما ، وقد خابت آمالهما إزاء أحداث الصلب ، لولا أن الرب يسوع فى محبته - وهو العالم بكل شىء - ظهر

لهما ، وهدّأ من روعيهما ، **وبدأ يشرح لهما سرّ الصليب والقيامة مؤكداً لهما ـ وهما اليهوديان ـ النبوات والاشارات والرموز التى وردت عنه فى أسفار العهد القديم ...**

وإذا كان الأمر كذلك مع تلميذين رأيا الرب يسوع وعاينا معجزاته ولازماه ، فكم وكم يكون أثر كرازة الرسل والكارزين الأوائل ، وهم يكرزون بإنجيل المصلوب بين أقوام لا يعرفونهم ... أى بشارة مفرحة تلك التى تكون فى صلب إنسان مات بهذه الطريقة الوحشية البربرية ؟!

كان اليهود ـ لقرون عديدة ـ ينتظرون المسيا ـ الممسوح والمعيّن من الله لخلاصهم ... لكن فكرتهم عن الخلاص كانت فكرة عالمية ، ولذا فقد كانوا ينتظرون هذا المسيح المخلّص ، إنساناً من طراز شمشون الجبّار الذى قتل ألفاً من الفلسطينيين بفك حمار!!... كانت بلاد فلسطين فى ذلك الوقت خاضعة للاستعمار الرومانى . لذا كانت كل آمالهم أن يحررهم هذا المسيا من ربقة الاستعمار الرومانى ، ويقيم ثانية دولة داود الدينية ... **انهم لم يفطنوا إلى حقيقة رسالة المسيح . لقد جاء محرراً لهم وللبشر جميعاً من أشر أنواع العبودية ، وهى العبودية للخطية والشر...** لم يفهموا المسيح وبالتالى لم يقبلوه ... لقد حسبوه ضعيفاً لأنه لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخّنة لا يطفىء (متى ١٢ : ١٩ ، ٢٠) ... **لم يَرُقْهم تعليم المسيح عن الوداعة والاتضاع ...** «سمعتم أنه قيل عين بعين وسنٌّ بسنّ . وأما أنا فأقول لكم **لا تقاوموا الشرّ. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً .**

ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ... سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . **وأما أنا فأقول لكم أحبّوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسنوا إلى مبغضيكم . وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم** » (متى ٥ : ٣٨ - ٤٤) ... وقد انطبع ذلك الاحساس فى استهزائهم به وهو مُعلّق على الصليب ، إذ قالوا عنه « خلّص آخرين ، فليخلّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله » (لو ٢٣ : ٣٥) ... هكذا كانت الكرازة بالمسيح مصلوباً عثرة لليهود لأنهم لم يفهموا أن « ضعف الله أقوى من الناس » (كورنثوس الأولى ١ : ٢٥) .

ولماذا الصليب جهالة ؟

اليونانيون (الاغريق) شعب عريق أسسوا امبراطورية شاسعة ، ونبتت الفلسفة على أرضهم . وظهر منهم آباء الفلسفة القديمة من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، كما ظهر من بينهم الحكماء والمشرّعون ... لقد كانت الآلهة الوثنية فى الشعوب الراقية بشراً لها أجسام وحواس . يولدون لكن لا يموتون . يأكلون و يشربون . ينامون و يستيقظون و يسافرون ويخوضون غمار المعارك والحروب . و يتزوجون و يتناسلون ... و يضرب بولس الرسول مثلاً باليونانيين الذين حققوا قمة الرقىّ الثقافى فى العالم القديم ، نيابة عن العالم الوثنى ... فإنهم على الرغم من رقيهم الفكرى والحضارى ظلوا - من جهة الدين - فى الدرك الأسفل من الانحطاط الادبى.والفساد الخلقى .

لقد مجدّ اليونانيون القوة فى كل صورها ، حتى أن فيلسوفهم أفلاطون فى جمهوريته أعتقد أن الأطفال المولودين من آباء مسنيّن يجب التخلص منهم

بتركهم عرايا ، إذ لا يجب أن يثقل على الدولة بهم .. وفى اسبرطة التى كانت منافساً قوياً لأثينا وقتذاك ، كانوا يعرّضون أولادهم على جبل تيجيتوس ـ الذى سمى جبل الموت ـ فإن قاوموا الطبيعة بقسوتها اعتبروا أقوياء البنية ، ويستحقون الحياة ، وإلاّ فليموتوا نتيجة تعرضهم لعوامل الطبيعة . لقد باهى اليونانيون بأنفسهم أنهم نسل الآلهة ... لقد قابل بولس فى مدينة أثينا فريقاً من فلاسفتها ، ولما سمعوه يتكلم قالوا « ماذا يريد هذا المهزار أن يقول » !! ولما سمعوا منه عن الرب يسوع الذى أقامه الله من بين الأموات ، وبه سيدين المسكونة بالعدل ، بدأوا يستهزئون به (أعمال الرسل ١٧) .

وهكذا كانت الكرازة بالمسيح مصلوباً بين اليونانيين تعتبر جهالة ... فأى تمجيد ، وأى بشارة مفرحة فى صلب إنسان وموته بطريقة فيها المذلة والعار والخزى والإزدراء ...

من هم الذين عثروا بالصليب ؟

هناك فئتان من البشر عثرتا بالصليب : غير المؤمنين ، والهراطقة ، وهم المؤمنون المنحرفون فى إيمانهم ...

أولاً ـ غير المؤمنين :

تأتى أهمية الصليب وقيمته من **الخلاص الذى صنعه الرب يسوع وأكمله عليه ،** حينما ذاق الموت بإرادته ... **ونقصد بالخلاص ، الخلاص** من **الخطية وسلطانها وكل آثارها ـ ليس بالنسبة للماضى فقط بل للحاضر والمستقبل فى حياة كل إنسان ...** هذا الموضوع يتصل بقضية

كبرى تخص جميع البشر، **هى قضية الغفران.**

لقد أخطأ الإنسان الأول كما تذكر لنا الكتب المقدسة ، نتيجة المخالفة والمعصية. **وقد استحق عقوبة الموت تبعاً لذلك (تكوين ٢ : ١٧) ... وعن آدم الإنسان الأول ورث جميع أبنائه من البشر طبيعة خاطئة** « بالإثم حُبل بى وبالخطية ولدتنى أمى » (مزمور ٥١) ... يقول الرسول بولس **« بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت. وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع »** (رومية ٥ : ١٢) ... **وهكذا عُدَّ جميع البشر خطاة** « ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم، ليس من يطلب الله. **الجميع زاغوا وفسدوا معاً.** ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد » (رومية ٣ : ١٠- ١٢) ... **وكانت نتيجة الخطية والمعصية أن الإنسان طُرد من حضرة الله** (تكوين ٣ : ٢٣، ٢٤) ... فالله الكامل القدوس لا يمكن أن يساكنه الخطاة والأشرار، فأتقياء القلب وحدهم هم الذين يعاينون الله. فلا شركة للظلمة مع النور...

والله فى محبته وحنوه - رغم كل ما حدث - أراد أن يرد الإنسان إلى طبيعته ورتبته الأولى قبل السقوط. لكن ما السبيل إلى ذلك؟... لا سبيل إلى ذلك إلاّ بأمرين معاً :

الأمر الأول : انقاذ الله للبشر من الخطية حتى ما يؤهلهم للوجود معه. وهذا تم بموت المسيح على الصليب.

الأمر الثانى : تجديد طبيعة الإنسان بعد أن افسدتها الخطية تماماً.

وهذا يتم بالميلاد الثانى (المعمودية) .

١ ـ انقاذ البشر من الخطيئة ونتائجها :

وهذا كما قلنا يتم بموت المسيح المحيى على الصليب وقيامته المقدسة ... لكن هناك سؤالاً يثيره غير المؤمنين فيقولون : **ألاَّ يستطيع الله أن يعفو عن الإنسان من تلقاء ذاته دون ما حاجة إلى موت المسيح بحكم كونه رؤوف رحيم ؟... والإجابة على هذا السؤال تتمضن ثلاثة جوانب يجب أن نتفهمها : جانب يتعلق بطبيعة الخطية من حيث كونها ـ وجانب يختص بالله ـ وآخر يتصل بالبشر.**

ما يتصل بطبيعة الخطيئة :

كيف ينظر الله إلى الخطيئة ، وماذا تفعل بالإنسان ؟ ... إن الله يعتبر الخطيئة اهانة له وتعدى عليه **« كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدى أيضاً ، والخطيئة هى التعدى »** (رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٤) ... **إنها** جرح شديد لقلب الله المحب ... انها اساءة بالغة لله ، وتشويه لصورته التى خلق عليها الإنسان أولاً . **وازاء بشاعة الخطية فإن اجرتها موت (رومية ٦ : ٢٣) ... الموت بأنواعه الثلاثة : الجسدى والأدبى (الروحى) والأبدى ...**

ما يختص بالله :

إن الله كامل فى صفاته . فكما أنه رحيم فهو عادل . ولو أنه عفا عن الإنسان من تلقاء ذاته بحكم كونه رؤوف رحيم ، **فإنه يتناقض مع ذاته من**

جهة عدالته المطلقة ... **فالله فى كتابه المقدس - فى الوقت الذى يعلن فيه صراحة عن رحمته- يقرر مبدأ العقوبة قصاصاً عن الخطيئة** ... يقول موسى النبى « **الرب الله رحيم ورؤوف ... لكنه لا يبرىء إبراءً . مُفتقد إثم الآباء فى الأبناء ، وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع » (خروج ٣٤ : ٦ ، ٧) ... ففى نفس الوقت الذى يعلن الله أنه رحيم ورؤوف يقول « لكنه لا يبرىء إبراءً »** ... هذا طريق وذاك طريق آخر .

يضاف إلى ذلك مبدأ مسلّم به ، وهو أن العقاب يتناسب مع الخطأ ... فحيث أن الله كامل وكلى القداسة وغير محدود ، فيترتب على ذلك أن مخالفة الله غير المحدود فى كمالاته ، **تستوجب عقوبة غير محدودة ... وقد تتملك البعض الدهشة حينما يسمعون هذا الكلام ، ويتساءلون هل مجرد الأكل من شجرة فى الفردوس تستوجب كل ذلك ؟! ... لكن القضية ليست بهذه البساطة والسطحية فى التفكير ... الموضوع فى ظاهره أكل من شجرة ، لكن فى حقيقته يختص بمخالفة الخالق وعصيانه ... ولعل مما يقرّب الأمر إلى أذهاننا قول المسيح « من قال (لأخيه) يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم »** (متى ٥ : ٢٢) ... وهنا أيضاً يقول واحد فى استهتار « وايه يعنى واحد يقول لآخر يا أحمق ، و يودّوه جهنم » !! ... لكن هذا ما قاله المسيح له المجد « والسماء والأرض تزولان ولكن كلمة من كلامه لا تزول حتى يكون الكل » (متى ٢٤ : ٣٥) .

لنعلم أيها الاخوة أن رحمة الله شىء ، وعدالته شىء آخر . فليس لرحمة الله أن تطغى على عدله أو تبطله ... **إن رحمة الله وعدله ليسا سوى وجهين لشىء واحد هو كمال الله ...** فالقاضى الذى يبرىء ابنه أو صديقه بحكم

عاطفة المحبة أو الرحمة، ليس قاضياً عادلاً منصفاً ... بل إن ما يحدث فى مثل هذه الحالة أن القاضى يتنحى عن نظر القضية، حتى تأخذ العدالة مجراها ... **فهل الله أقل عدالة من البشر؟!!**

ما يختص بالبشر: هناك تساؤلات ...

+ ألاَّ يمكن للأعمال الصالحة التى يمارسها الإنسان كالصلاة والصوم وأعمال الرحمة (الصدقات) أن تغفر خطايا الإنسان ؟

+ ألاَّ يمكن للتوبة والحزن على الخطية أن تغفر للإنسان خطاياه ؟

وهنا لا بد وأن نقرّر أن هذه الأعمال الصالحة نافعة للإنسان بلا شك، لكن لا بد من توضيح الآتى :

لا قيمة للأعمال الصالحة بدون أساس الإيمان بالمسيح وعمله الكفارى ... إذا وجد أساس الإيمان الصحيح بالمسيح واستندت عليه مثل هذه الأعمال الصالحة، ونبعت منه، فإنها تصبح مقبولة ونافعة لصاحبها. إنها فى هذه الحالة **تعتبر ثماراً ناضجة لشجرة طيبة ... أما إذا لم تستند أمثال هذه الأعمال الصالحة للإيمان فلا قيمة لها ...** يقول بولس الرسول **«لأنه إن كان بالناموس برّ، فالمسيح إذاً مات بلا سبب»** (غلاطية ٢ : ٢١). والمقصود بالناموس هنا الأعمال الصالحة بدون الإيمان بالمسيح المخلّص ... والمعنى إذا كانت الأعمال الصالحة توصل الإنسان للبرارة، فلم يكن هناك داع لموت المسيح ... **يشبهون أعمال الإنسان بالأصفار. مهما كثر عددها فإن قيمتها العددية صفر... والإيمان يشبهونه**

بالواحد الصحيح . إذا وضع أمام الأصفار أصبحت عدداً وكلما كثرت الأصفار أمام الواحد الصحيح ، كلما كثرت القيمة العددية ... هكذا الإيمان ولزومه بالنسبة للأعمال .

أما عن التوبة والحزن على الخطية فهى لا قيمة لها أيضاً بدون أساس الإيمان بالمسيح ... فتوبة المخطىء لا ترد لله كرامته ومجده ، وتمحو الإساءة التى وجهت إليه . وهى أيضاً لا تردنا إلى صورة الكمال التى كانت لنا قبل السقوط ... وهب أن موظفاً اختلس مبلغاً من المال ، فهل احساسه بالخطأ وحزنه على فعلته وجريمته وندامته ، يعفيه من العقوبة ؟! . كلا ... فإما أن يرد ما اختلسه وإما أن يحاكم و يُسجن و يُفصل من وظيفته « الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير» (متى ٥ : ٢٦) .

٢ ـ تجديد طبيعة الإنسان :

بعد أن خلق الله الخليقة وضع لها نواميس ثابتة تضبطها ، منها أن طبيعة الكائن لا تتغير، بل تظل كما هى . فالجماد يظل جماداً ، والحيوان يبقى حيواناً ، والإنسان يستمر إنساناً ... وعلى ذلك فإن طبيعة الإنسان الخاطئة وما ترتب على ذلك تظل كما هى ... ولنا مثل فى الوحوش المفترسة التى يدر بونها لفترات طو يلة لتلعب فى السيرك ... حدث أن بعض هذه الحيوانات فى بعض المرات انقضّت على مدر بيها بقصد افتراسهم . لقد عاودتهـا طبيعتها الأولى . وهكذا نرى أن ترو يض الوحوش وتدريبها لا يغيّر من طبيعتها الأصلية ، ولا يجرّدها منها . بل إن هذه الطبيعة تظل كامنة فيها ...

والله لكى يؤهل الإنسان للوجود معه ، لا يغيّر من طبيعته بالوصايا والنواميس الأدبية ، فهذا يتنافى مع طبيعة الإنسان التى أفسدتها الخطيئة... لكن الله يعطى الإنسان طبيعة جديدة يسمو بها فوق طبيعته الخاطئة. هذا ما يفعله الميلاد الثانى (المعمودية) بالماء والروح القدس... ذلك الميلاد الذى يناله الإنسان بعد اعلان اعترافه بالمسيح إلهاً ورباً ومخلصاً ، وبموته المحيى ودفنه وقيامته من بين الأموات...

ثانياً - الهراطـــقة :

أشرنا فى المحاضرة السابقة إلى أنه منذ فجر المسيحية ، قام من ينادى بعدم موت المسيح ، وهؤلاء هم الغنوسيون. وقلنا إنهم لم يكونوا مذهباً واحداً بل مذاهب متعددة ومدارس فكرية مختلفة... وقد أشرنا إلى بعض آرائهم الخاطئة نتيجة تكوينهم من أصول وثنية ويهودية وفلسفية وصوفية شرقية. ومن أهم نظرياتهم التى ذكرناها ما يتصل بموضوع تجسّد ابن الله الاقنوم الثانى ، كذلك صلبه وموته وقيامته. فقد رفضوا عقيدة التجسّد وموت المسيح لاعتقادهم بأن المادة شر ، وكذلك الجسد الهيولى (المادى). إذ كيف - حسب رأيهم - يتحد الله القدوس بالجسد الإنسانى الشرير؟! واشرنا إلى تحذير يوحنا الرسول للمؤمنين من هذه الضلالة (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١ - ٣ ؛ والرسالة الثانية ٢٢ ، ٢٣)...

ونضيف اليوم إلى ذلك أن فريقاً من هؤلاء الغنوسيين - وعلى رأسهم

المرطوقى باسيليوس ، وهو معلّم غنوسى بالإسكندرية - أعلن فى الفترة من سنة ١٣٠ إلى سنة ١٤٠ م ، أن المسيح الروح المتجسد الذى أرسل إلى العالم بواسطة الآب [لم يتألم ، وبدلاً منه أَجْبَرَ سمعان القيروانى على حمل الصليب نيابة عنه . ولقد صُلب هذا الرجل خطأ وعن غير قصد ، بعد أن تغيّر إلى يسوع . وأُخذ عوضاً عنه بواسطة منفذى حكم الموت . وأخذ يسوع شبه سمعان وسخر منهم] .

وهناك فريق آخر من هؤلاء الغنوسيين الهراطقة قالوا إن هناك مؤامرة دُبرّت ، وأن يسوع خُدِّرَ على الصليب بترتيب سابق ، وأُنزل من على الصليب ودفن بواسطة شريكه فى الجريمة يوسف الرامى . وهكذا أمكن أن يظهر لتلاميذه كيسوع القائم من بين الأموات .

لقد ظهرت هذه الهرطقات منذ أواخر القرن الأول الميلادى ، ووقفت الكنيسة المسيحية الأولى فى وجهها وقاومتها . فبالإضافة إلى ما ذكره يوحنا الرسول ، توجد كتابات كثيرة لبعض الآباء الرسوليين (تلاميذ الرسل) والمعلمين الأوائل تحذّر من هذه الضلالات الغنوسية ...

فالقديس أغناطيوس الأنطاكى الشهيد (سنة ١٠٧ م) يكتب عن موت المسيح فى رسالته إلى أهل سميرنا يقول **[لقد تألم (المسيح) كثيراً من أجلنا لكى يخلصنا . لقد تألم حقيقة ، تماماً على نحو ما قام حقيقة ، وليس ظاهرياً على نحو ما يزعم بعض غير المؤمنين] .**

ويقول أغناطيوس فى رسالته إلى أهل أفسس [لقد علمت أن أناساً

من مكان آخر لهم معتقد فاسد ، قد مكثوا معكم . **لكنكم لم تسمحوا لهم أن يزرعوا زرعهم ، وسددتم آذانكم عن مجرد سماع تعاليمهم ، متذكرين أنكم حجارة هيكل الآب ، معدّة للبناء الذى يشيّده ليرتفع إلى الأعالى بواسطة رافعة يسوع المسيح الذى هو الصليب ، مستخدمة حبال الروح القدس** . إن إيمانكم هو الذى يرفعكم . والمحبة هى الطريق الذى يقودكم إلى الله . أنتم إذن رفقاء تحملون الله وهيكله ، وتحملون المسيح ، وتحملون مقدسات . وتزينكم من كل وجه وصايا يسوع المسيح] .

يقول كاتب الرسالة إلى ديوجنيتس (حوالى ١٢٠ م) [حينما أكتمل شرّنا ، وصار واضحاً أن العقاب والموت كانا هما العقوبة . وأتى الوقت الذى عينه الله ليظهر حنوّه وقوته ... **فى رحمته حمل خطايانا وبذل ابنه الوحيد فدية لأجلنا** . القدوس لأجل الأشرار ، البرىء لأجل المذنبين ، البار لأجل الأثمة] .

وكتب بوليكاربوس أسقف سميرنا الشهيد (سنة ١٥٥ م) إلى أهل فيلبى محذراً من الهراطقة الغنوسيين قائلاً **[كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد هو ضد المسيح . مَنْ لا يعترف بشهادة الصليب هو من إبليس . وكل مَنْ يغيّر أقوال الرب وفقاً لرغباته ، وينكر القيامة والدينونة هو بكر الشيطان . فلنترك الغباوة والتعليم الكاذب ، ولنعد إلى التعليم الذى سُلّم إلينا منذ البدء]** .

ويقول ارستيديز الآثنى فى دفاعه الذى كتبه حوالى سنة ١٤٠ م [إن المسيحيين يرجعون بأصلهم للرب يسوع المسيح الذى نزل من السماء

بالروح القدس لأجل خلاص البشر. نحن نعترف به ابناً لله . لقد ولد من العذراء القديسة بدون زرع بشر، وأخذ جسداً بدون خطيئة ، وظهر بين البشر حتى يردهم عن عبادة الآلهة المتعددة. **وحينما أكمل عمله العجيب بإرادته وحده، ومن أجل هدف عظيم، ذاق الموت على الصليب . وبعد ثلاثة أيام عاد إلى الحياة ثانية وصعد إلى السموات] .**

لقد شجبت الكنيسة الأولى تلك الآراء الخاطئة والضلالات المفسدة ، وحرمت القائلين بها ، حتى أن يوحنا الرسول المملوء محبة ووداعة يحذر المؤمنين من هؤلاء الهراطقة ، ويدعوهم إلى مقاطعتهم ، وينهاهم عن قبولهم فى بيوتهم بل حتى عن مجرد التسليم عليهم ... يقول فى رسالته الثانية «**لأنه قد دخل إلى العالم مضلّون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد. هذا هو المضلّ والضدّ للمسيح . انظروا إلى أنفسكم لئلا نضيّع ما عملناه بل ننال أجراً تاماً ... إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام. لأن من يُسلّم عليه يشترك فى أعماله الشريرة**» (رسالة يوحنا الثانية ٧- ١٠).

وكان نتيجة جهود الكنيسة الأولى ويقظتها أن الأمر بالنسبة للآراء والاضاليل الغنوسية لم يَعْدُ بعض المعلمين الغنوسيين ومن تحمسّ لهم ، لكن الكنيسة ظلت محتفظة بإيمانها ... **يقول الاستاذ كيللى Kelly فى كتابه «العقائد المسيحية الأولى»** بعد أن عرض لأراء الغنوسيين الفاسدة **[كان هناك مجموعة من المعلمين الغنوسيين. كل له آراؤه والمتحمسون له. لكن لم تكن هناك كنيسة واحدة غنوسية] .**

العثرة فى الصليب روحياً :

تكلمنا عَمَنْ يعثرون فى الصليب إيمانياً هرطقياً لاهوتياً ، **لكن هناك عينة أخرى من المسيحيين تعثر فى الصليب ـ لا إيمانياً ـ بل روحياً .** بمعنى أنهم ، إما أنهم يرفضون حمل الصليب بشكر و بطيب خاطر ، وإما أنهم يتململون و يضجرون و يتأففون من حمله ... إن هؤلاء واولئك يحسّون بثقل الصليب ... اِنهم لا يحتملون ما يأتى عليهم من ضيقات وآلام ، وتجارب متنوعة سواء كانت فى أجسادهم أو أرزاقهم أو أسرهم أو أوضاعهم الاجتماعية أو غير ذلك ... انهم يحسّون أن امثال هذه التجارب أكثر من أن يحتملوها ، فينسبون لله عدم العدل ... **والعثرة فى الصليب روحياً ليست خطيئة بسيطة ، بل هى خطيئة مركبة ... فما هى هذه الخطايا :**

أ ـ ضـــد الإيمـــان :

الإيمان هو أن نثق فى الله دون أن نراه ... ثقة مطلقة فى ذاك الذى يدبر كل شىء إذ هو ضابط الكل ... ولا يمكن أن يحدث شىء فى حياتنا ، بل فى العالم كله ، دون إرادته أو سماحه ... **ومشكلة الإنسان أنه بحاجة لمعرفة أن الإيمان دائرة غير دائرة العقل ...** فهو بالعقل لا يرى حلاً لمشكلة معينة ، أو زوال لضيقة خاصة ، أو بُرء من مرض صعب عضال ... انه يرى السُبُل أمامه مسدودة ، والطريق موصداً ... **لكن أليس الله هو الذى «يفتح ولا أحد يُغلق ، ويُغلق ولا أحد يفتح »** (رؤيا ٣ : ٧) ... هب ان الناس جميعاً فشلوا فى حلّ اشكال معين واعلنوا عجزهم وافلاسهم ، **أليس غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله** (لو ١٨ : ٢٧) ...

أما زال الله يصنع المعجزات على مستوى الواقع ، ومع أناس نعرفهم شخصياً ، ويعيشون بيننا ؟! ألاَّ نعرف جميعاً مشاكل صعبة ومعقدة لدى بعض الناس ، وتدخل الله وحُلّت بصورة غير متوقعة ، وكان الناس قد يئسوا من حلّها ... ألاَّ نعرف أشخاصاً مرضوا وأشرافوا على الموت ، وامتدت يد الله القوية الحنونة وأقامتهم وبعثت فيهم الحياة ثانية ... أنا هنا لا أتكلم عما فى بطون التاريخ ، لكننى أتكلم على عالمنا المعاصر. إن عصر المعجزات لم ينتهِ كما يزعم البعض . فالله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يعقوب ١ : ١٧) ... وقد وعد الرب يسوع ان « هذه الآيات تتبع المؤمنين » (مرقس ١٦ : ١٧) .

ألم يقل الرب يسوع لمرثا بعد موت أخيها لعازر وقبل أن يقيمه « ألم أقل لك إن آمنتِ ترين مجد الله » (يوحنا ١١ : ٤٠) ... وألم يقل « الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها » (يوحنا ١٤ : ١٢) ... ألم يقل كذلك « إن كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شىء غير ممكن لديكم » (متى ١٧ : ٢٠) . كما قال « كل شىء مستطاع للمؤمن » (مرقس ٩ : ٢٣) ... « كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (متى ٢١ : ٢٢) ... بل إن يوحنا الرسول يعطى الإيمان السلطان على كل شىء حينما يقول « وهذه هى الغَلَبَة التى تغلب العالم إيماننا » (يوحنا الأولى ٥ : ٤) ... وحتى لو أحسّ الإنسان بضعفه فى الإيمان فليصرخ إلى الله بدموع ويقول « أؤمن يا سيد فأعنْ عدم إيمانى » (مرقس ٩ : ٢٤) .

لكن احذر أن يكون لك إيمان الشياطين ، فهم « يؤمنون و يقشعرون » (يعقوب ٢ : ١٩) ... لنتذكر كلمات الرسول بولس أن « البار بالإيمان يحيا » (رومية ١ : ١٧) ... « كل ما ليس من الإيمان فهو خطية » (رومية ١٤ : ٢٣) ... « بدون إيمان لا يمكن ارضاؤه » (عبرانيين ١٠ : ٦) .

ب ـ ضد محبة الله :

الله محب ، بل هو المحبة ذاتها (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٨) ... والله هو الخير الأعظم ، وهو صانع الخيرات ، ولذا فإن محبته تعطى لأولاده ما هو لخيرهم ، ولا تسمح أن يتحملوا ما هو فوق طاقتهم ... يقول معلمنا بولس الرسول « الذى لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء » (رومية ٨ : ٣٢) ... و يقول أيضاً عن حنو الله « لم يُصبكم تجربة إلاّ بشرية . ولكن الله أمين ، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣) ...

يقول قائل : كيف يكون الله محباً ، و يسمح أن يتألم أولاده ؟ ... والرد على ذلك ، انه لو كانت هناك طريقة أخرى غير الآلام والضيقات (حمل الصليب) ، تستطيع أن تتمم مقاصد الله لخير الإنسان ، لما تردد الله فى استخدامها ... لكن الضيقات والآلام نافعة للإنسان ومفيدة له ... انها لغة الله لمحبيه ... لقد حمل المسيح الصليب ودعانا ليحمل كلٌ صليبه ، ونسير خلفه ...

حدث بينما كان بولس و برنابا فى جولات كرازية بآسيا الصغرى ، أن هيّج اليهود المتعصبون الشعب ضدهما ، ورجموا بولس وجرّوه خارج مدينة لسترة ظانين أنه مات ... لكن الله حفظ خادمه بولس ، وللحال نهض ، وكان مع برنابا « **يشددان أنفس التلاميذ (المسيحيين) و يعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان ، وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله** » (أعمال الرسل ١٤ : ١٩- ٢٢) ... **لقد رفع الله الضيقات والشدائد والآلام - التى يُكنى عنها بحمل الصليب - لتصبح هبة روحية مجيدة ، يقدمها لأولاده ومحبيه ، لكننا يعوزنا الإيمان لنراها** ... هذا ما يعلنه بفم رسوله بولس « وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فيلبى ١ : ٢٩) .

انه جهل وحماقة وغباوة من الإنسان أن ينظر إلى صليب الضيقات ، على أنه عقاب إلهى لا يتفق مع محبة الله ... فنحن كثيراً ما نتعامل مع صغارنا وأولادنا بنفس الأسلوب . قد نقسو عليهم أحياناً من أجل خيرهم ، بينما يظنون أننا ضدهم ، وكأننا ننتقم منهم ... كيف نشك فى محبة الله الذى به « نحيا ونتحرك ونوجد » (أعمال الرسل ١٧ : ٢٨) ، « و يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء » (أعمال الرسل ١٧ : ٢٥) .

جـ - ضـد التسـليم لله :

التسليم لله ثمرة من ثمرات الإيمان به وبقوته ومحبته وعنايته وحكمته ... فإيمانى بالله - أى ثقتى فيه - واحساسى أنه أبى السماوى الذى يحبنى بلا سبب ، والذى وهبنى نعمة البنوة له مجاناً - **يدفعنى لتسليم**

حياتى له بلا تحفظ ... إذا وصلت إلى هذا المفهوم ، وسلمت حياتى لله ، فيجب علىَّ أن اتقبل كل ما يأتى علىَّ بشكر ، عالماً أنه من يد أبى السماوى صانع الخيرات وضابط الكل المذّخرة فيه كل كنوز الحكمة ...

حينما سأل التلاميذ الرب يسوع أن يعلمهم الصلاة ، أعطاهم صلاة مثالية هى الصلاة الربية ، وضمَّنها طلبة خاصة بحياة التسليم **« لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض » ...** المهم فى هذه الطلبة أننا نطلب من الآب السماوى أن تكون مشيئته فينا نافذة كما فى السماء ... فالخلائق السمائية ليس لها إرادة خاصة تضاد إرادة الله كما يفعل الأرضيون ... معنى هذا تسليم كامل لمشيئة الله . هكذا علمنا مخلصنا ، وهكذا نصلى نحن بشفاهنا ... كيف إذاً ـ والحالة هذه ـ حينما يسمح الله بأن تأتى علينا ضيقة ، أو يشتد ثقل الصليب الذى نحمله ، نتململ منه ونضجر ؟! هذه ليست من سمات حياة التسليم التى تُسِرّ قلب إلهنا المحب ... **وإذا كان المسيح نفسه فى وقت آلامه فى بستان جثسيمانى صلى قائلاً « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ... يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلاَّ أن أشربها ، فلتكن مشيئتك » . وكرر نفس هذا الكلام ثالثة (متى ٢٦ : ٣٩ـ ٤٤) ... إذا كان المسيح كنائب عن البشرية قد سلّم مشيئته لله الآب ، أفلا يجدر بنا أن نتمثل به ؟**

ضــد التواضــع :

الإنسان المتواضع يقبل بشكر كل ما يأتى عليه ... هو يحسّ أنه

إنسان خاطىء ، ويستحق ما يأتى عليه من ضيقات ... إن لسان حاله هو ما قاله اللص اليمين لزميله الذى كان يجدف على المسيح « نحن بعدل قد جوزينا » **إن الصليب الذى يسمح الله أن نحمله ، إما أن يكون تأديباً أو امتحاناً أو تزكية ...**

فإذا كان الصليب للتأديب فلنحتمله بشكر لأنه لخيرنا ... يقول معلمنا بولس « لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا . **ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدب من الرب لكى لا نُدان مع العالم** » (كورنثوس الأولى ١١ : ٣١ ، ٣٢) ... « **إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين** ، فأى ابن لا يؤدبه أبوه ... ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين ، وكنا نهابهم . أفلا نخضع بالأولى جداً لأبى الأرواح فنحيا . لأن أولئك أدبّونا أياماً قليلة حسب استحسانهم . **وأما هذا فلأجل المنفعة ، لكى نشترك فى قداسته . ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن . وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر برٍّ للسلام** » (عبرانيين ١٢ : ٧- ١١) .

وإن كان الصليب امتحاناً ، فلنثبت فى طريق الله ، ولنتشبث بالصليب حتى نجوز الامتحان بنجاح . **ولنحذر ترك الصليب أو الامتعاض منه أو حمله بتذمر ، فهذا معناه الفشل ...** يقول المرتل داود « **اختبرنى يا الله واعرف قلبى . امتحنى واعرف افكارى . وانظر إن كان فىَّ طريق باطل . واهدنى طريقاً أبدياً** » (مزمور ١٣٩ : ٢٣ ، ٢٤) . **يقول القديس برصنوفيوس** لتلميذ له كان يعانى من المرض **[إن كنا خطاة فبالضيقات نؤدب . وإن كنا أبراراً فبالضيقات نمتحن] ...**

وسواء كانت الضيقات لتأديبنا أو لاختبارنا ، فإن هذا يقود ـ إذا نحن حملنا الصليب بصبر وشكر ـ إلى تزكيتنا أى لنقاوتنا ... وهكذا يقول القديس بولس الرسول «**نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشىء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاءً ، والرجاء لا يُخزى** . لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رومية ٥ : ٣ ـ ٥) ... وهكذا فإن تذمر الإنسان من الصليب وحمله ، إنما يثبت أنه لا يحيا حياة **الاتضاع ـ الذى هو فضيلة ، وفى نفس الوقت حامل للفضائل كلها ...**

معطّلات الصـــليب :

الصليب معناه الموت الذى ينشىء حياة ... هذه الحياة الجديدة التى تظهر بالصليب وفى الصليب يوجد ما يعطلها ... وإلى ذلك يشير بولس الرسول «لأن المسيح لم يرسلنى لأعمّد بل لأ بشر. لا بحكمة كلام ، **لئلا يتعطل صليب المسيح** » (كورنثوس الأولى ١ : ١٧) ... ولأن هذه النقطة سنعود إليها فى موضوع قادم فى هذه السلسلة ، **فنكتفى هنا بالكلام عن معطلات الصليب فى الحياة الروحية وفى خدمة الكلمة والتعليم ...**

أ ـ فى الحـــياة الروحـــية :

يعالج القديس بولس الرسول معطلات الصليب فى حياتنا الروحية فيما يكتب لأهل فيلبى ، فيقول لهم «لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، **والآن أذكرهم باكياً وهم أعداء صليب المسيح .**

الذين نهايتهم الهلاك. الذين إلههم بطونهم، ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فيلبى ٣: ١٨، ١٩) ... **إنّ هؤلاء الذين يذكرهم بولس باكياً كأعداء صليب المسيح، كان قبلاً يذكرهم للمؤمنين مراراً كمُثُلٍ حية على حياة** القداسة والنعمة ... **إن هذا يدعونا للاحتراس...** بولس كان يسلك بحرص ويقمع جسده ويستعبده حتى بعد ما كرز للآخرين **لا يصير هو نفسه مرفوضاً** (كورنثوس الأولى ٩: ٢٧). ويوصى المؤمن فى رسالته إلى أهل رومية قائلاً **«لا تستكبر، بل خَف»** (رومية ١١: ٢٠).

فى القول السابق لبولس الرسول لأهل فيلبى **يذكر ثلاث أشياء تعطل صليب المسيح**، وتجعل من الإنسان عدواً له: **إلههم بطنهم- مجدهم فى خزيهم- الافتكار فى الأرضيات...** هذه الأشياء الثلاثة نستطيع أن نلّخصها فى كلمة واحدة **«محبة العالم ومحبة الجسد»**.. لقد رفض هؤلاء قبول الصليب - **أى قبول عار المسيح...** يتكلم بولس عن **موسى النبى** وكيف أنه رفض أن يدعى ابن ابنة فرعون «**مفضلاً** بالأحرى أن يُذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية. **حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر»** (عبرانيين ١١: ٢٤-٢٦) ... رفض هؤلاء قبول عار المسيح وعاشوا للذاتهم الخاصة... **لقد ارتبكوا بأباطيل العالم: بطنهم، مجدهم، أرضهم...** لم يهتموا بطعام الروح أو مجد الله ولا بالسماء الجديدة والأرض الجديدة التى يسكن فيها البرّ (بطرس الثانية ٣: ١٣) ... لقد شابهوا عيسو الذى لأجل أكلة عدس باع بكوريته... **«لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذى من أجل أكلة واحدة باع**

بكوريته » (عبرانيين ١٢ : ١٦) ... لقد كان كل نظرهم للأرض وما فيها ... هم منشغلون بها وانحصرت اهتماماتهم فى دائرتها. ولم ترتفع آمالهم وأمانيهم لأكثر مما فى الأرض ... فى الوقت الذى كان فيه اليشع النبى ناظراً إلى فوق، وهو واقف أمام الرب (ملوك ثانى ٥ : ١٦)، كانت عينا جيحزى غلامه على وزنتى الفضة وحلتى الثياب التى مع نعمان السريانى كيف يحصل عليها، فكان نصيبه أن البرص الذى كان لاصقاً بنعمان لصق بجسمه. إن الصليب يعنى الموت ... إن مَنْ يحمل الصليب يعطى ظهره للعالم، لأنه ذاهب ليموت ... هكذا يجب أن نفهم كلمات المسيح التى وضعها كشرط لتبعيته «إن أراد أحد أن يأتى ورائى، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعنى» (متى ١٦ : ٢٤).

ب ـ فى الخـــدمة :

نعود لكلمات بولس إلى أهل فيلبى «لأن المسيح لم يرسلنى لأعمّد بل لأبشر. لا بحكمة كلام، لئلا يتعطل صليب المسيح». هذه الكلمات القليلة تكشف لنا عن قضية فى غاية الأهمية، وتجيب عن سؤال لا بد وأنه عرض لنا ... هذا السؤال هو: كيف انتشرت بشرى الخلاص بالمسيح فى كل العالم على أيدى الرسل والتلاميذ والكارزين الأوائل ؟

الإجابة : « لا بحكمة كلام، لئلا يتعطل صليب المسيح » ... وحكمة الكلام هى الفلسفة والمنطق والكلام الفصيح المنمق... لم ينتشر

إنجيل المسيح بهذه الوسيلة ... بل انتشر بقوة الصليب ... لقد كان الإنجيل الذى يكرز به بولس هو إنجيل الصليب وإنجيل المصلوب، وقد وضع فى نفسه ألاَّ يعرف شيئاً بين مَنْ يكرز لهم إلاَّ « يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (كورنثوس الأولى ٢ : ٢) ... كان بولس الذى تثقف بكل ثقافة عصره اليونانية والرومانية حريصاً ألاَّ يستخدم شيئاً من الفلسفة أو حكمة العالم فى خدمته وكرازته « لئلا يتعطل صليب المسيح ». هكذا انتشر الإنجيل بقوة الصليب ومَنْ عُلّق عليه ... هذا ما يعلنه بولس لأهل كورنثوس :

« وأنا لما أتيت إليكم أيها الاخوة، اتيت - ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله. لأنى لم أعزم أن اعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً. وأنا كنت عندكم فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة. وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله. ولكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون. بل نتكلم بحكمة الله فى سرٍّ.. الحكمة المكتوبة التى

سبق الله فعيّنها قبل الدهور لمجدنا . التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر. لأن **لو عرفوا لما صلبوا رب المجد »** (كورنثوس الأولى ٢ : ١ - ٨) .

وفى نفس رسالته إلى أهل كورنثوس يوضح بولس بالأكثر سر قوة كرازته « **نحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله ، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التى نتكلم بها أيضاً ، لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانية** بل بما يعلّمه الروح القدس » (كورنثوس الأولى ٢ : ١٢ ، ١٣) ... «لأن فخرنا هو هذا ، شهادة ضميرنا أننا فى بساطة واخلاص الله - **لا فى حكمة جسدية** بل فى نعمة الله تصرفنا فى العالم ، ولا سيما من نحوكم » (كورنثوس الثانية ١ : ١٢) ... «لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم **يعرف الله بالحكمة ، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة »** (كورنثوس الأولى ١ : ٢١) .

كان بولس يمثل الكارز الفيلسوف المثقف ، الذى كان حريصاً ألاّ يستخدم حكمة العالم وعلومه الكلامية لئلا يتعطل صليب المسيح ... ولدينا مثل آخر فى بطرس الرسول صياد الجليل الأمى ، الذى دعاه المسيح من صيد السمك ليصبح صياداً للناس ... فكان أميناً فى حبه لسيده ، وترك كل شىء وتبعه ... لقد ألقى شبكته فى يوم الخمسين - يوم تأسيس كنيسة العهد الجديد - شبكة الروح القدس فاصطاد بها ثلاثة آلاف نفس ... ماذا قال بطرس حتى استطاع أن يجذب كل هذا العدد ؟ **لقد قدم لسامعيه من اليهود الاتقياء يسوع المصلوب ...**

« يسوع الناصرى ... هذا اخذتموه مسلّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق ، **وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه ...** فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله **جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً** » (أعمال الرسل ٢ : ١٨ - ٣٦) ... لقد كانت كلمات بطرس مصحوبة بقوة الروح القدس الذى نخس قلوب سامعيه ، فاستسلموا لعمل الروح ، وقالوا فى استسلام تام « ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة » ... فكان جواب الرسل « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » ... وعطية الروح القدس أن يصيروا بنين لله بالمعمودية المقدسة التى هى مثال لموت المسيح ودفنه وقيامته .

هذا هو إنجيل الصليب والمصلوب ... عند الهالكين جهالة ، وعند من يقبلون المسيح مخلصاً قوة الله . هكذا أثبت الصليب فى ضعفه وعاره وجهالته أصل المسيحية الإلهى ... وليعلم كل مؤمن أن إيمانه ليس بعمل الناس وحكمتهم ، بل بقوة الله ...



كيف حملت الكنيسة الصليب ؟

الكنيسة كما أسسها المسيح .
الصليب فى حياة المسيح .
الضيقات وحمل الصليب فى تعليم المسيح .
الضيقات وحمل الصليب فى تعليم الرسل .
موقف الكنيسة إزاء الخارجين عنها .
ماذا فعلت الكنيسة للحفاظ على كيانها ؟
ماذا فعلت الكنيسة للحفاظ على إيمانها ؟
ارتفـــاع الصـــــليب .

ماذا نقصد بموضوع هذا المساء « الكنيسة والصليب » ... هناك مفاهيم كثيرة يمكن أن تدخل تحت هذا العنوان ... هل هو موضوع يصف حقبة من حياة الكنيسة مضت وانتهت ، أم هو موضوع الحاضر المعاصر ... **لقد قصدت به الأمرين معاً ، الحاضر على ضوء الماضى ...** وما أعنيه هو « **كيف حملت الكنيسة الصليب** » ... كيف احبته فاحتضنته ... كيف تعاملت معه ، وكيف حملته ... كيف تصرفت ازاء الضيقات ، وكل قوى الشر التى تصدّت لها فى العالم .. كيف عاونت كل ابن من أبنائها ، وكل عضو فيها على حمل الصليب ... كيف صارت شاهدة للصليب وسط عالم وُضِعَ فى الشرير ... ونود أن ننبه قبل الخوض فى الموضوع أن **كل ما ينطبق على الكنيسة ، ينطبق على كل عضو فيها ...**

من أين نبدأ موضوعنا ..؟ نستعرض أولاً الصورة التى أسس بها المسيح كنيسته .

الكنيسة كما أسسها المسيح :

كنيسة المسيح كما يريدها ، وكما أسسها ، لها مواصفات وضعها هو، وأعلنها لتلاميذه . وقد حرص الرسل والتلاميذ على الحفاظ عليها ... فما هى تلك المواصفات ؟

أ ـ حملان بين ذئاب :

فى ارسالية **السبعين رسولاً التدريبية** ، حينما أرسلهم الرب يسوع اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتى ، قال لهم « اذهبوا . **ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب** » (لوقا ١٠ : ٣) .

والحملان صورة للمؤمنين بالمسيح فى وداعتهم و بساطتهم .. أما الذئاب فرمز لأهل العالم فى غدرهم وشرهم ... **طبيعة الكنيسة كما أسسها المسيح وكما يريدها دائماً «حملان بين ذئاب» ...**

ماذا يستطيع الحمل أن يفعل أمام الذئاب ؟!... **إن الحمل صورة للرب يسوع** الذى قيل عنه إنه لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ... **صورة للمسيح الوديع** الذى دعانا أن نتعلم منه الوداعة وتواضع القلب فنجد راحة لنفوسنا ... **المسيح حمل الله الذى بلا عيب يدعو كل من يتبعونه أن يكونوا حملاناً.** هكذا يقدمهم للعالم ...

« حملان بين ذئاب » ... انه منظر يبعث الرعب فى النفس ... إن ذئباً واحداً يكفى لافتراس قطيع من الحملان الصغيرة التى لا تقوى على الحركة أو الهرب ...**هل يُعقل أن مسيحنا المحب يرسل أولاده للعالم كحملان بين ذئاب ؟!** نعم ، هكذا أرسلهم ، لأنه كان يعلم أنه قادر على حمايتهم من ضراوة الذئاب ووحشيتها ... **والعجيب ، أنه فى النهاية ـ كما يقول القديس أغسطينوس ـ حوّلت الحملان الذئاب وجعلت منهم حملاناً.** و يعنى أغسطينوس بذلك الشعوب الوثنية التى آمنت بالمسيح وتغيرت طبيعتها بفضل هذه الحملان !!

ما أصدق التصوير الذى يصور به المسيح أولاده : « حملان » . وفى الناحية المقابلة يصور العالم بالذئاب الشرسة الغادرة المتعطشة لسفك الدماء البريئة ... لقد انطلقت الحملان إلى شعوب العالم الغارق فى ظلام الوثنية ، تقدم لهم المسيح حمل الله الذى يحمل خطايا العالم ... وكما كان هو شاة

تساق إلى الذبح ، وكخروف صامت أمام الذى يجزّه لم يفتح فاه ، هكذا كانت تلك الحملان ... **فبعد أن ادت رسالتها وارشدت إلى الراعى الحقيقى كانت مستعدة أن تجود بدمائها البريئة ، وتروى بها أديم المسكونة. وهكذا نبتت حبة الخردل وصارت دوحة كبيرة تآوت شعوب الأرض فى أغصانها.**

ب - متجردة من المقتنيات :

« لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا عصا » (متى ١٠ : ٩ : ١٠) ... **« لا تحملوا شيئاً للطريق »** (لوقا ٩ : ٣) ... هذا ما أوصى به السيد المسيح رسله وتلاميذه حينما أرسلهم فى ارساليات تدريبية ... **لقد جَرَّدهم من كل شىء :** من المال والطعام والثياب وحتى العصا التى يدافع بها عن نفسه فى الطرق الموحشة ... **لقد جردهم من كل شىء ليكون هو لهم كل شىء ... لا** تحملوا شيئاً للطريق . لأنه هو نفسه الطريق ... المسيح للنفس المؤمنة هو كل شىء ... هو غناها فمَنْ التصق به وافتقر إلى شىء .. وهو غذاؤها ، وكساؤها ... ألم يُوصينا بولس الرسول أن نلبس الرب يسوع المسيح (رومية ١٣ : ١٤) .

لقد عاشت الكنيسة المسيحية وصية سيدها ومعلمها ... ففى معجزة شفاء الأعرج من بطن أمه الذى كان يجلس عند باب الهيكل الجميل - وكان مقعداً من بطن أمه وله أكثر من أربعين عاماً - يسأل صدقة من الناس . فيما كان الرسولان بطرس و يوحنا يدخلان الهيكل ، سأل

ليأخذ صدقة . فقال له بطرس « **ليس لى فضة ولا ذهب . ولكن الذى لى فإياه أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش . وامسكه بيده اليمنى وأقامه** » (أعمال الرسل ٣ : ١ - ٨) ...

« **ليس لى فضة ولا ذهب** » ... **هذه هى الكنيسة** ... كان الرسولان لا يملكان مالاً ، لكنهما كانا يقتنيان إيماناً ... كانت الكنيسة تعوزها المادة ، لكنها كانت غنية بإيمانها « **كفقراء ونحن نُغنى كثيرين . كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء** » (**كورنثوس الثانية ٦ : ١٠**) ... **وحينما نمتلك المسيح فنحن نملك كل شىء** ... وحينما عاشت الكنيسة أمينة لتعاليم الرب ووصاياه ، كان هو أميناً معها فى اتمام مواعيده . وهكذا كانت تجرى المعجزات باسم الرب يسوع ... **وحينما تركت الكنيسة عنها وصية مُخلْصها ، فقدت السلطان أن تصنع باسمه الآيات والمعجزات .**

جـ - مشابهة لصورة ابن الله :

يصف القديس بولس الرسول أولئك الذين يحبون الله المدعوين حسب قصده أنهم « **مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين** » (رومية ٨ : ٢٩) ... **وأحد أوجه الشبه مع ابن الله هو الألم** ... يتنبأ إشعياء النبى عن السيد المسيح فيقول عنه انه « **رجل أوجاع ومختبر الحزن** » (إشعياء ٥٣ : ٣) ... هذه صفة أصيلة فى المسيح المخلّص ... فالمسيح لم يُرَ يوماً ضاحكاً ، لكنه شوهد باكياً عند قبر لعازر (يوحنا ١١ : ٣٥) ... وقبيل آلامه على الصليب ، كان محصوراً فيما كان عتيداً أن

يُكمله ، وسمع يقول « نفسى حزينة جداً حتى الموت » (مرقس ١٤ : ٣٤) ... فلقد تجسّد ابن الله من أجل فداء البشر ، والفداء استلزم الألم والصليب ... وإن كان المسيح قد تألم ، **فليس التلميذ أفضل من معلمه ، ولا العبد أفضل من سيده** (متى ١٠ : ٢٤) .

الصليب فى حياة المسيح :

إن كان إشعياء النبى قد تنبأ عن المسيح أنه رجل أوجاع ومختبر الحزن (إشعياء ٥٣ : ٣) ، **فإن هذه الآلام والأحزان لم تبدأ فى جثسيمانى ، بل بدأت منذ ولادته بالجسد ... لقد ولد الطفل يسوع وهو يحتضن الصليب ، وظل يحتضنه فى حب ويحمله حتى عُلّق عليه عند الجلجثة ..** ونحن وان كنا نجهل معظم حياة الرب يسوع بالجسد حتى بدأ خدمته الكرازية فى سنّ الثلاثين ، لكننا نستطيع أن نتبين ملامح الصليب ونراها من خلال بعض المواقف ...

نرى الصليب فى مولده ، حينما ولد فى مذود للبهائم إذ لم يكن ليوسف ومريم موضع فى النُزُل (لوقا ٢ : ٧) ... **نراه فى مذبحة أطفال بيت لحم** (متى ٢ : ١٦ ، ١٧) ... **وفى الهرب إلى مصر طفلاً والتغرب بين ربوعها** حتى مات هيرودس الملك الطاغية الذى كان يطلب نفس الصبى ليقتله (متى ٢ : ١٤ ، ٢٠) .

ويلخص بطرس الرسول مسلك المسيح واحتماله الآلام بقوله « لأنكم لهذا دعيتم . **فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا ، تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته ..** الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » (بطرس

الأولى ٢ : ٢١ : ٢٢) .. قال رب المجد يسوع «إن أراد أحد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى » (متى ١٦ : ٢٤) . وإن كان المسيح قد دعانا أن ننكر ذواتنا ، فلقد أنكر هو نفسه واخفى لاهوته فى بعض المواقف ... ولم يكتف المسيح بالتعليم الشفوى على عادة معلمى عصره ، بل قدم نفسه نموذجاً لتعليمه .

فلقد أنكر نفسه حاملاً الصليب حينما تقدم إلى يوحنا المعمدان كأحد الخطاة ليعتمد منه (متى ٣ : ١٣ ؛ لوقا ٣ : ٢١) ... وأنكر نفسه فى تجربة إبليس له (متى ٤ : ١ - ١٠) ... وحينما قدم عظته على الجبل افتتحها بتطويب المساكين بالروح والحزانى فى العالم (متى ٥ : ٣ ، ٤) .

كان المسيح يحتضن الصليب حينما شُتم ولم يكن يشتم عوضاً ، ولا يهدد ، بل كان يُسلّم لمن يقضى بعدل (بطرس الأولى ٢ : ٢٣) ... وحين أنكر اليهود بنوته لأبيه السماوى واتهموه أنه ابن زنا من يوسف ومريم (يوحنا ٦ : ٤٢) . وحين وجه اليهود إليه أقذع شتائمهم أنه سامرى وبه شيطان (يوحنا ٨ : ٤٨) ؛ وأنه لا يخرج الشياطين إلاّ بقوة بعلزبول رئيس الشياطين (متى ١٢ : ٢٤) ... وحينما اتهمه الفريسيون والكتبة أنه ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت (يوحنا ٩ : ١٦ ؛ ٥ : ١٨) ... وفى هذه وغيرها كان المسيح يحتضن الصليب . ما رَدَّ اتهاماً لقائليه ، ولا عاملهم بنفس روحهم .

الضيقات وحمل الصليب فى تعليم المسيح :

إن كنا قد رأينا الصليب أو مثال الصليب فى حياة المسيح بالجسد ، **فقد** أعلن هو عنه صراحة حينما كان **يتكلم عن الضيقات كنصيب مقدس للمؤمنين عليهم أن يحرصوا عليه ، وألاّ يفرّطوا فيه من أجل البركة ...** بعد لقاء المسيح مع الشاب الغنى ، الذى دعاه إلى أن يوزع ماله على الفقراء ويحمل الصليب ، لكن هذا الكلام لم يَرُقْهُ فاغتم ومضى حزيناً (مرقس ١٠ : ١٧ - ٢٢) ، **قال له بطرس « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك »** . فكان جواب الرب عليه « **الحق أقول لكم ليس أحد ترك** بيتاً أو اخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل ، **إلاّ ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان** بيوتاً واخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً **مع اضطهادات** ، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مرقس ١٠ : ٢٨ - ٣٠) ... **وهنا نلاحظ أن المسيح له المجد يحصى الاضطهادات ضمن البركات التى يعوّض بها الإنسان فى هذا العالم عن محبته له !!**

كمبدأ عام فى حياة المؤمنين قال المسيح « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لو ١٣ : ٢٤) ... « لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ، وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ : ١٤) ... **أما عن تعليمه بخصوص الضيقات فقد قال :**

« فى العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم »

(يوحنا ١٦ : ٣٣) ... «**ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح**. المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت. ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح، لأنه قد ولد إنسان فى العالم» (يوحنا ١٦ : ٢٠، ٢١) ... «**تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله**. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم» (يوحنا ١٦ : ٢- ٤) ... «وسوف تسلمون من الوالدين والاخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم. **وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى**. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١ : ١٦- ١٩) ... وفى لقاء المسيح مع الشاب الغنى الذى سأله ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية، ختم حديثه معه بقوله «**يعوزك شىء واحد**. اذهب بع كل مالك واعطِ الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء، **وتعالَ اتبعنى حاملاً الصليب**» (مرقس ١٠ : ٢١) ... **أما عن حتمية حمل كل مؤمن للصليب فقال :**

« **من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى** . مَنْ وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (متى ١٠ : ٣٨ ، ٣٩) ... « **إن أراد أحد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى .** لأن مَنْ أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ، ومَنْ يُهلك نفسه من أجلى يجدها » (متى ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ؛ لوقا ٩ : ٢٣ ، ٢٤) ... « **مَنْ لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً** » (لوقا ١٤ : ٢٧) ..

لكن ماذا يعنى السيد المسيح بانكار الإنسان لنفسه وحمل الصليب ؟

يقول **العلامة أوريجينوس** عن ذلك [إن مَنْ ينكر نفسه هو الذى يثور على حياته الأولى بشدة و يزيل آثارها ـ تلك التى أمضاها فى الشر. فالذى كان فاسقاً ينكر نفسه الفاسقة . و يصبح ضابطاً لنفسه على الدوام . كذلك مَنْ لا ينكر نفسه فإنما يُنكر المسيح ، وسوف يختبر قول المسيح « انكره أنا أيضاً » . وعلى هذا فليكن كل فكر وكل قصد وكل كلمة وكل عمل يصبح إنكاراً لأنفسنا ، وفى نفس الوقت شهادة عن المسيح وفى المسيح . **انى مقتنع أن كل عمل للإنسان الكامل هو شهادة للمسيح يسوع ، وأن الامتناع عن كل خطية هو إنكار للنفس يقودها وراء المسيح** . إن مثل هذا الإنسان قد صُلب مع المسيح ويحمل الصليب ، و يتبع ذاك الذى من أجلنا حمل صليبه] .

الضيقات وحمل الصليب فى تعليم الرسل :

عاشت الكنيسة الأولى حياة الرب يسوع مشاركة إياه فى الآلام والضيقات ... وسفر أعمال الرسل الذى يسجل أحداث الكنيسة فى تاريخها المبكر ، يذكر ما تعرّض له رسل المسيح وتلاميذه من ضيقات وشدائد ... **فلقد حُبسَ الرسولان بطرس و يوحنا** بعد معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل (أعمال الرسل ٤ : ٣) ... **وقبض على الرسل جميعاً ووُضعوا فى حبس العامة** ، لكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم » (أعمال الرسل ٥ : ١٧ـ ١٩) ... فى هذه المرة جلدوهم وأوصوهم ألاَّ

يهلّموا باسم يسوع . أما هم « **فذهبوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه** » (أعمال الرسل ٥ : ٤٠ ، ٤١) وتصاعدت موجة الحنق ضد الكنيسة الناشئة **فرجموا استفانوس رئيس الشماسة** ، بينما كان يصلى عن قاتليه « يارب لا تُقم لهم هذه الخطية » (أعمال الرسل ٧ : ٥٩ ، ٦٠) ... **بعد ذلك قتل هيرودس يعقوب بن زبدى سنة ٤٤ م ، ثم قُتِلَ يعقوب بن حلفى سنة ٦٢ م .**

أما عن موقف الآباء رسل المسيح ومشاعرهم من جهة الضيقات والآلام فتعكسها كتاباتهم ... ونعرض لبعض منها :

يفتتح يعقوب الرسول رسالته التى وجهها للمؤمنين عامة بقوله « **احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى فى تجارب متنوعة .** عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشىء صبراً . وأما الصبر فليكن له عمل تام ، لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » (يعقوب ١ : ٢ - ٤) .

ويقول بطرس الرسول « أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان الخلاص ... الذى به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان **يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة . لكى تكون تزكية إيمانكم ، وهى أثمن من الذهب الفانى ، مع أنه يمتحن بالنار** » (بطرس الأولى ١ : ٥ - ٧) ... « مَنْ يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير . ولكن **وإن تألمتم من أجل البرّ فطوباكم** » (بطرس الأولى ٣ : ١٣) ... « **فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد ، تسلّحوا أنتم أيضاً بهذه النية (هذا المثال)** » (بطرس الأولى ٤ : ١) .. « **بل كما اشتركتم فى آلام المسيح ، افرحوا لكى تفرحوا فى**

استعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عُيرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحلّ عليكم» (بطرس الأولى ٤ : ١٣، ١٤).

أما يوحنا الرسول حبيب الرب فهو الذى حفظ لنا قول الرب يسوع «الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتَمتُ فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير. مَنْ يحب نفسه يهلكها. ومَنْ يُبغض نفسه فى هذا العالم، يحفظها إلى حياة أبدية» (يوحنا ١٢ : ٢٤، ٢٥)... ويستفتح رؤياه وهو منفى فى جزيرة بطمس «من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح»، بقوله «أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة، وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره» (رؤيا ١ : ٩)... ويسجل لنا يوحنا منظراً رآه واعلن له «جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف، متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل... وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لى هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض مَنْ هم ومن أين أتوا... قال لى هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة. وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً فى هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحرّ. لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤيا ٧ : ٩-١٧).

أما بولس الرسول فتمتلىء رسائله بالكلام عن الضيقات والآلام وبركاتها والكنوز المذخرة فيها، كانعكاس لخبرته الشخصية وتجربته

مع الألم والضيق... إنه يقدم ذاته مثالاً عجيباً فى الجهاد والاحتمال. وكأن المسيح الذى اختاره ليكون «إناء مختاراً يحمل اسمه أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل»، أراد أن يُتوّج باكليل لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل. ولا شيء يصنع هذا الإكليل سوى الألم والضيق... **ومنذ بداية قصة بولس مع المسيح -بعد اهتدائه قرب مدينة دمشق- قال عنه لحنانيا «سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى»** (أعمال الرسل ٩: ١٥، ١٦)... ولم تكن هذه الكلمات نوعاً من التوعّد لهذا الخادم الجديد جزاء أخطائه السابقة، لكنها اعلان عما تفعله الآلام بالنفس التى تحب الرب من أعماقها... إن الآلام تُكمّل الإنسان. وهذا ما اختبره بولس وقاله عن المسيح له المجد «لأنه لاق بذاك الذى من أجل الكل وبه الكل وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، **أن يكمّل رئيس خلاصهم بالآلام**» (عبرانيين ٢: ١٠)... إن قدراً يسيراً مما احتمله هذا الرسول العظيم يكشفه لنا فى الأصحاح الحادى عشر من رسالته الثانية إلى كورنثوس فى معرض الدفاع عن رسوليته... انه طراز عجيب من البشر... فبعد أن استعرض عمق محبته لسيده وأن لا شيء يمكن أن يفصله عنه حتى الموت فى صوره المختلفه، هتف «**ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا**» (رومية ٨: ٣٧). **أما عن ثباته أزاء الضيقات وفرحه بها**، فنستطيع أن نلمسه فى حديثه إلى كهنة أفسس «الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلاً إن وثُقاً وشدائد تنتظرنى. ولكننى لست احتسب لشيء ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى، والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٣، ٢٤).

والآن نعرض لبعض مما قاله فى هذا الصدد :

قال لأهل كولوسى « افرح فى آلامى لأجلكم ، **وأكمّل نقائص شدائد المسيح فى جسمى** لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كولوسى ١ : ٢٤) ... انه تعبير عجيب . فوإن كان المسيح قد أتم الفداء على الصليب ، لكن شـــدائـده لم تكمل بعد . إنها تكمل الآن فيما يأتى على كنيسته فى العالم وعلى الخدام والمؤمنين أن يحتملوا هذه الشدائد ، على نحو ما حمل هو خطايانا على الصليب .

وكتب لأهل فيلبى يقول « **لأعرفه (المسيح) وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته** » (فيلبى ٣ : ١٠) ... هنا يكشف بولس عن مفهومه للألم أنه شركة مع المسيح ...

وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول « فى كل شىء نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير. فى شدائد . فى ضرورات فى ضيقات . فى ضربات ، فى سجون ، فى اضطرابات . فى أتعاب ، فى أسهار، فى أصوام ... كمضلين ونحن صادقون كمجهولين ونحن معروفون . كمائتين وها نحن نحيا . كمؤدبين ونحن غير مقتولين . كحزانى ونحن دائماً فرحون . كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء » (كورنثوس الثانية ٦ : ٤ - ١٠) ... وفى بعض مدن آسيا الصغرى ، كان يشدّد التلاميذ ليثبتوا فى الإيمان قائلاً لهم «**بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله**» (أعمال الرسل ١٤ : ٢٢) ...

ويعتبر بولس أن الضيقات واحتمالها بالنسبة للمؤمنين أمر مسلّم

به ، حتى أنه يكتب لأهل تسالونيكى قائلاً لهم إنه أرسل إليهم تيموثاوس ليثبتهم و يعظهم « كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات . **فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا** . لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا **عتيدون أن نتضايق** » (تسالونيكى الأولى ٣ : ٢ - ٤) .

أخيراً يتخطى بولس مرحلة احتمال الضيقات والآلام إلى الافتخار بها ، فيكتب إلى أهل رومية قائلاً « **نفتخر أيضاً فى الضيقات** عالمين أن الضيق ينشىء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاءً ، والرجاء لا يخزى ، لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رومية ٥ : ٣ - ٥) ... و يقول لأهل تسالونيكى « **الضيقات التى تحتملونها بيّنة على قضاء الله العادل انكم تؤهلون لملكوت الله الذى لأجله تتألمون أيضاً** » (تسالونيكى الثانية ١ : ٥) .

موقف الكنيسة إزاء الخارجين عنها :

علّمت المسيحية بالمحبة للجميع دون تمييز بين جنس وجنس أو دين ودين ... يكتب بولس لأهل تسالونيكى « الرب ينميكم و يزيدكم فى المحبة بعضكم لبعض وللجميع » (تسالونيكى الأولى ٣ : ١٢) ... واتخذت شعاراً لها عبارة الرسول يوحنا « **الله محبة** » (يوحنا الأولى ٤ : ٨) ... **لقد نادت بالحب والإخاء بين جميع البشر، وعلّمت أن المحبة هى « الوصية الأولى والعظمى »** (متى ٢٢ : ٣٨) ، **وأنها « غاية الوصية » (تيموثاوس الأولى ١ : ٥) ، « وتكميل الناموس » (رومية ١٣ : ١٠) ... وهى علامة التلمذة الحقة للرب يسوع** « بهذا يعرف

الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يوحنا ١٣ : ٣٥) ... **كما علّمت المسيحية أن كل فضيلة تخلو من المحبة هى مرفوضة ، حتى لو اقتنى صاحبها إيماناً ينقل به الجبال** (كورنثوس الأولى ١٣ : ٢) .

ما عرفت المسيحية الكراهية أو البغضاء أو الرغبة فى الانتقام ... هكذا علّمت الكنيسة أبناءها « لا تجازوا أحداً عن شر بشر ... إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس . **لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء** ، بل أعطوا مكاناً للغضب ... لأنه مكتوب لى النعمة أنا أجازى يقول الرب . فإن جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقه . لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه . **لا يغلبنّك الشر ، بل اغلب الشر بالخير** » (رومية ١٢ : ١٧ - ٢١) ...

كانت كنيسة الرسل على مستوى الأمانة فى التعليم الذى اقتبلته من الرب يسوع فيما يختص بالخارجين عنها « أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » (متى ٥ : ٤٤) ... ولقد تسلّمت الكنيسة مبدأ محبة الاعداء من المسيح الذى صلّى عن صالبيه وهو معلّق على الصليب « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) . **ونفذت هذا المبدأ الروحى على المستوى العملى ... فاستفانوس رئيس الشمامسة وأول شهداء المسيحية طلب عن الذين كانوا يقتلونه رجماً بالحجارة ، وصلى إلى الله ألاّ يحسب عليهم هذه الخطية** (أعمال الرسل ٧ : ٦٠) ... **لقد اعتبرت الكنيسة محبة**

الأعداء نوعاً من الكمال الإنسانى تشبّهاً بالله الذى **لا يفرق فى خيره** وانعامه، إذ يُشرق بشمسه على الأبرار والأشرار، ويمطر على الصالحين والظالمين (متى ٥ : ٤٥) ... والرسول بولس يكتب إلى أهل غلاطية موصياً **«فلنعمل الخير للجميع»** (غلاطية ٦ : ١٠) ..

وقد رفعت الكنيسة الصلوات من أجل الحكام الوثنيين الذين كانوا يضايقونها ... هكذا كتب بولس الرسول إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس **«فاطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس. لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب**، لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار. **لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله»** (تيموثاوس الأولى ٢ : ١-٣) ... لقد كتب الرسول بولس هذا الكلام فى الستينيات من القرن الأول. ومعلوم أن جميع الحكام فى أنحاء الدولة الرومانية فى ذلك الوقت كانوا وثنيين. ومع ذلك أوصى برفع صلوات من أجلهم موضحاً أن ذلك حسن ومقبول لدى مخلصنا الله (المسيح).

وأوصت الكنيسة وعلّمت بالخضوع لهؤلاء الحكام :

قال **القديس بولس الرسول** إلى أهل رومية « **لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلاّ من الله. والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله. حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله.** والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة» (رومية ١٣ : ١-٧) ... ويكتب إلى تلميذه الأسقف تيطس **«ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين**

ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح» (تيطس ٣ : ١) ... ويوصى القديس بطرس المؤمنين قائلاً «فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب. إن كان للملك فكمَنْ هو فوق الكل. أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير. لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء... اكرموا الجميع. احبوا الاخوة. خافوا الله. اكرموا الملك» (بطرس الأولى ٢ : ١٣ - ١٧) ...

وقد ترجمت الكنيسة وصايا الرسل إلى صلوات فعلية ... منها ما جاء برسالة كليمنضس الرومانى أسقف روما التى انفذها حوالى سنة ٩٤ م إلى كنيسة كورنثوس يقول فى صيغة ابتهال :

[اعطيت أيها السيد لرؤسائنا وحكامنا السلطان بقدرتك التى لا يُعبرّ عنها، حتى إذا ما عرفنا المجد والشرف اللذين أعطيتهم، اطعناهم لئلا نعارض إرادتك. هَبْهُمْ الصحة والسلام والوئام والاستقرار ليسلكوا بلا محاباة فى عملهم. نعم، إنك أنت أيها الإله السماوى وملك كل العصور، الذى يوزع على البشر المجد والشرف والقدرة. وَجّه أيها الرب مشورتهم وفقاً لما هو خير، وما هو محبوب من إرادتك، حتى يسلكوا بسلام ووداعة، ويحكموا بالسلطان الممنوح منك بعدل ورأفة].

وفى أوشيتى السلامة والملك بالقداس الكيرلسى بكنيستنا القبطية، المنسوب للقديس مرقس الرسول طلبات من أجل حكام البلاد ...

يقول الكاهن فى أوشية السلامة « **الملك (رئيس البلاد) والجند والرؤساء والوزراء والجموع وجيراننا ومداخلنا ومخارجنا زينهم بكل سلام »...** و يقول فى الأ وشية الخاصة برئيس البلاد :

« **اذكر يارب عبدك رئيس بلادنا** احفظه بسلام وعدل وجبروت ، ولتخضع له كل البربر والأمم الذين يريدون الحرب فى جميع ما لنا من الخصب . **تكلم فى قلبه من أجل سلامة كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. اعطِه أن يفكر بالسلام فينا وفى اسمك القدوس..** لكى نحن أيضاً نعيش فى سيرة هادئة ساكنة . ونوجد كائنين فى كل تقوى وكل عفاف بك » .

ماذا فعلت الكنيسة للحفاظ على كيانها ؟

لقد وعت الكنيسة وضعها فى العالم ، وأنها هدف للضيقات والشدائد ... وَعَتْ تعليم المسيح « فى العالم سيكون لكم ضيق » . ومعه وَعَتْ بقية وعد مخلصها « لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » ... **ولقد غلب المسيح مخلصنا إبليس رئيس هذا العالم بالصليب «إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض ، الذى كان ضداً لنا ، وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب. إذ جرّد الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً ، ظافراً بهم فيه (فى الصليب) »** (كولوسى ٢ : ١٤ ، ١٥) .

وعلى ضوء هذا الفهم ، لم تستنفذ الكنيسة قواها الداخلية فى التفكير فى الضيقات : كيف تحدث ، ولماذا تحدث ، وماذا بعد هذا ؟ وبذا تنصرف عن عملها الايجابى الذى وضع عليها ، وهو الشهادة

للمسيح وسط العالم... لم تنس الكنيسة ـ ولو للحظة واحدة ـ حقيقة وضعها فى العالم، ورسالتها التى عليها أن تؤديها وتكملها ... الضيقات التى تأتى عليها من الخارج أمر مُسلَّم به أن يحدث ... وتاريخ الكنيسة كله سلسلة متصلة الحلقات تُجَسّم أمامنا صدق كلمات المسيح «فى العالم سيكون لكم ضيق»، وأن «أبواب الجحيم لن تقوى عليها» ... **ولم تنزعج الكنيسة من هذه الضغوط الخارجية، لأنها كانت واثقة من وعود سيدها ومخلّصها فى حفظه للكنيسة وأولادها** (تسالونيكى الثانية ١ : ٦، ٧) ... **أما الخطر الحقيقى الذى كانت الكنيسة فى غاية الحذر منه، فكان انقسامها داخلياً.**

فماذا فعلت الكنيسة للحفاظ على كيانها ككنيسة المسيح فى تلك الأوقات الصعبة؟

أ ـ لقد اهتمت الكنيسة ببناء نفوس أبنائها وتجديدها وشحنها روحياً عن طريق الحث والتعليم... كان ذلك يتم فى اجتماعات العبادة السرية، التى كانت تعقد فى سكون الليل... وعلى الرغم من أن هذه الاحتماعات كانت عرضة للمفاجأة والمباغتة فى أية لحظة بواسطة السلطات الحكومية ـ وهذا ما كان يتكرر حدوثه ـ فقد حرص المسيحيون على حضور هذه الاجتماعات ـ وارواحهم على اكفّهم ـ لخدمة الكلمة والأسرار المقدسة... وقد تضمّنت هذه الاجتماعات قراءات من الكتب المقدسة والصلاة والتعليم والوعظ وتقديم الصدقات وإقامة الصلوات الخاصة لتقديس سرّ الشكر... **كما كانت الكنيسة حيّة فى افتقاد أعضائها الذين لا تمكنّهم ظروفهم الصعبة من حضور اجتماعات العبادة التى**

كانت تُعقد بعد منتصف الليل ... و يذكر لنا يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول الذى قدمه للامبراطور الرومانى حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى ، كيف كان شماساً يحمل الجسد المقدس إلى كل عضو فى الكنيسة تخلف عن اجتماع العبادة لظروف قهرية ....

ب - **لم يكن أمام الكنيسة فى تلك الظروف الصعبة إلاَّ أن تلتجىء إلى الله بالصلاة ، وتتقرب إليه بالصوم** فى تذلل ... لم تكن للكنيسة فى ذلك الوقت المبكر صلات رسمية بالدولة ، إذ لم تكن الدولة تعترف بالديانة المسيحية لذا كانت تمارس عبادتها خفية وفى سرّية ... **لم يكن أمامها والحال هذه إلاَّ المسيح المنقذ والمخلّص تلجأ إليه وتذكره بمواعيده فى المحافظة عليها .**

جـ - **وإلى جانب ذلك عرفت الكنيسة أن الاتضاع يرفع صاحبه** « اتضعوا قدام الرب فيرفعكم » (يعقوب ٤ : ١٠) . **لذا فقد اتضعت قدام الرب . وعرفت أن التوبة هى التعبير العملى للاتضاع ... التوبة على مستوى الأفراد فى حياتهم الخاصة ، والتوبة الجماعية على مستوى الكنيسة كلها بكل أعضائها ...** كانت أمامها كلمات المسيح « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣ : ٣ ، ٥) ... وكان أمامها كلمات الروح القدس بفم بطرس الرسول لليهود بعد معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرح من وجه الرب » (أعمال الرسل ٣ : ١٩ ... وكان أمام الكنيسة معاملات الله مع شعبه قديماً ، وكيف كان غضبه يرتد مرات عديدة بالصوم والتذلل والتوبة ...

ماذا فعلت الكنيسة للحفاظ على إيمانها ؟

كانت الكنيسة واعية إلى أن أثمن ما استودعها المسيح هو الإيمان الواحد ... انها تؤمن « **برب واحد وإيمان واحد** » (أفسس ٤ : ٥) .. ودُعى السيد المسيح « **رئيس الإيمان ومكمّله** » (عبرانيين ١٢ : ٢) .. انه عطية الله للبشر « **لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان. وذلك ليس منكم هو عطية الله** » (أفسس ٢ : ٨) ... وبطرس الرسول يعبّر عن قيمة الإيمان بالمسيح ، فيوجه رسالته الثانية إلى « **الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً** » (بطرس الثانية ١ : ١) ... وكان سرّ غبطة بولس الرسول وهو يودع حياة الجسد أنه **أكمل السعى وحفظ الإيمان** (تيموثاوس الثانية ٤ : ٧) ... والمسيح له المجد يمتدح خادم كنيسة برغامس لأنه متمسك باسمه ولم ينكر إيمانه فى وقت الشدة (رؤيا ٢ : ١٣) .

هذا الإيمان المسيحى الثمين تعرّض فى الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة المسيحية لهجوم مثلث : هجمات القوى الوحشية المادية ، وتحدّيات الفلاسفة الوثنيين الذين يمثلون حكمة العالم القديم المنتفخة ، وضلالات الهراطقة المسيحيين ... وقد أجابت الكنيسة على الأولى بثبات اتباعها البطولى الذين بذلوا حياتهم ذوداً عنها ، **فصانوا** حيويتها ... واجابت على الثانية بما كتبه الفلاسفة المسيحيون دفاعاً عن الإيمان المسيحى ... أما الثالثة فقد ردت عليها بكتابات آبائها وعلمائها ولاهوتييها العظماء ... وفى عجالة نعرض لهذا الإيمان الثمين المسلّم مرة للقديسين (يهوذا ٣) ، وكيف حافظت الكنيسة عليه ...

أ ـ هجمات الفلاسفة الوثنيين :

كان المسيحيون من البدء مستعدين لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم (بطرس الأولى ٣: ١٥)... لكن كان عليهم أن يضيفوا إلى شهادتهم العملية السلوكية البسيطة، دفاعاً نظرياً، يدفعون به عن أنفسهم الاتهامات الباطلة ضد إيمانهم المسيحى... **هكذا ظهرت جماعة من الفلاسفة المسيحيين عرفوا باسم المدافعين** Apologists ـ أى المدافعين عن الإيمان... **كانت مهمة هؤلاء المدافعين تبرئة المسيحية مما نُسب إليها ظلماً أو خطأً، وتقديم مفاهيم سليمة عنها لغير المؤمنين...** لم تكن مهمتهم تعليم الحق، لكن اعداد السبيل إليه. هم لا يبرهنون على صحة المسيحية كديانة إلهية من الكتب المقدسة، لكنهم يثبتون أنها ليست غير معقولة على الاطلاق أو ضارة. لذا فقلّما يقتبسون من الأسفار المقدسة، لكنهم يستشهدون بها و يشيرون إلى صحتها وخلوها من أى خطأ، بالمقابلة مع أساطير الآلهة الوثنية.

كان القصد من هذه الدفاعات مصالحة المسيحية مع أعدائها من الوثنيين... وقد قدمت هذه الدفاعات للأباطرة الرومان أو لحكام الأقاليم. و بعضها وجهت إلى أشخاص متميزين أو لجمهور الشعب الوثنى عامة...

القليل من هذه الدفاعات كتب رداً على الاتهامات اليهودية على نحو ما فعل يوستينوس الشهيد فى حواره مع تريفو اليهودى، وما كتبه العلامة ترتليانوس ضد اليهود... **لكن معظم دفاعات المدافعين كتبت**

لتفنيد اتهامات الفلاسفة الوثنين ... ومن هؤلاء المدافعين كوادراتوس وارستيديز الأثينيين ، وميليتو أسقف ساردس ، و يوستينوس الشهيد وتلميذه تاتيان ، واثيناغوراس وثاوفيلس الانطاكى وهيبوليتس وكليمنضس واوريجينوس وترتليانوس وارنوبيوس ولكتانثيوس الذى يعتبر آخر المدافعين .

ب ـ هجمات الهراطقة :

كان أهم الهرطقات التى اتعبت الكنيسة فى فجر تاريخها هى **الضلالات الغنوسية** ، وقد سبق الإشارة إليها ... **وقد تحركت الكنيسة ضد هذه الضلالات فى اتجاهين يكمل أحدهما الآخر و يسانده ...**

الاتجاه الأول هو ما اتخذته السلطات الكنسية ضد هؤلاء الغنوسيين وقطعهم من شركتها ... فقد سعى الغنوسيون ليندسوا بين صفوف المؤمنين ... كان بعضهم أعضاء فى الجماعات المسيحية . وكانت الخطة أن يكسبوا أنصاراً جدداً من داخل هذه الجماعات ، و بذا يكونوا خلايا غنوسية داخلها ... وقد حرمت الكنيسة وقطعت من شركتها زعماء هؤلاء الغنوسيين على نحو ما فعلت مع **مركيون Marcion** . واتخذت اجراءات مماثلة مع آخرين أحست بخطرهم فى أماكن أخرى ... كان استئصال الخلايا الغنوسية من الجماعات المسيحية مصحوباً بعظات تشرح طبيعة معتقداتهم الفاسدة الخادعة ، والخطر الذى يهدّد الإيمان المسيحى بسبب هؤلاء الغنوسيين .

الاتجاه الثانى ، وقد تمثل فى كتابات علماء الكنيسة واللاهوتيين المعاصرين وقتذاك ضد التيار الفكرى الغنوسى ، مثبتين تناقض عقائدها

مع الإيمان المسيحى السليم، و يضاد رسالتها الأساسية ... ومن أمثلة هذه الكتابات ما كتبه **ديونيسيوس أسقف كورنثوس حوالى سنة ١٧٠ م ...** ولم يكن نشاطه قاصراً على كنائس بلاد اليونان، بل تعداها إلى كنائس آسيا الصغرى وجزيرة كريت، بقصد تكوين جبهة دفاعية عريضة ضد هرطقات زمانه.

وإن كانت معظم كتابات هذه الفترة ضد الغنوسية قد فقدت، لكن أوسابيوس المؤرخ فى تاريخه يذكر لنا بعضاً ممن كتبوا ضدها ... **منهم اغريباس الذى قاوم باسيليوس، ورودون من آسيا الصغرى، ومدستوس** اللذين دحضا ضلالات مركيون ... ومن الأساقفة الذين هاجموا الغنوسية وكتبوا ضدها **ميليتو أسقف ساردس وفيلبس أسقف جورتينا Gortyna فى كريت، وثاوفيلس أسقف أثينا ...** هؤلاء جميعاً اهتموا بنوع خاص بدحض ضلالات مركيون ... أما عن العلماء الذين هاجموا الأفكار الغنوسية عامة فمنهم **يوستينوس الشهيد وايريناوس أسقف ليون وهيجسبّوس فى القرن الثانى وترتليانوس وهيبوليتس الرومانى فى القرن الثالث الذى اثبت أن آراء الغنوسيين غير مستمدة من الأسفار المقدسة، بل من الفلاسفة الاغريق، ومن كتب التنجيم والسحر والكتابات غير المسيحية.**

ارتفاع الصليب :

هذه المعطلات والمعوقات والمقاومات جميعها التى تعرضت لها الكنيسة وإنجيل المصلوب، ما كانت لتعرقلها عن الامتداد فى كل

الاتجاهات ، أو يعوقها عن مواصلة مسيرتها فى تقديم إنجيل الخلاص للعالم أجمع حسب وصية مخلصها «اذهبوا إلى العالم أجمع اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس ١٦ : ١٥) ...

فعلى الرغم من حبس بطرس ويوحنا الرسولين بعد معجزة شفاء المقعد، **فقد قفز عدد المؤمنين إلى خمسة آلاف** (أعمال الرسل ٤ : ٤) ... ولما اطلقا من الحبس أتيا إلى جماعة المؤمنين من الرسل والتلاميذ وصلوا معاً من أجل ان يمنحهم الرب أن يتكلموا بكلامه بكل مجاهرة. وكانت نتيجة الصلاة أن تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس **«وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة»** (أعمال الرسل ٤ : ٢٩- ٣١) ... واستمر الرسل فى عملهم الكرازى **«وكان مؤمنون ينضمون للرب أكثر، جماهير من رجال ونساء، حتى أنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع، ،يضعونهم على فرش واسرة، حتى إذا جاء بطرس يخيّم ولو ظله على أحد منهم. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة. وكانوا يبرأون جميعهم»** (أعمال الرسل ٥ : ١٤-١٦).

وقبضوا على الرسل ووضعوهم فى حبس العامة ، لكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال «اذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل بجميع كلام هذه الحياة» (أعمال الرسل ٥ : ١٨- ٢٠) ... ثم استحضروا أمام مجمع السنهدرين وجلدوهم واوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم اطلقوهم (أعمال الرسل ٥ : ٤٠) ... ورجم استفانوس **وحدث اضطهاد عظيم على الكنيسة فى أورشليم وهى بعد ناشئة، فتشتت**

المؤمنون فى أقاليم اليهودية والسامرة... لكن ماذا فعل هؤلاء المؤمنون الذين تشتتوا بسبب الضيق... «جالوا مبشرين بالكلمة» (أعمال الرسل ٨ : ٤)... وقتل هيرودس الملك يعقوب بن زبدى بالسيف، وعاد وقبض على بطرس وسجنه، لكن ملاك الرب أخرجه من السجن ليواصل أعماله الكرازية (أعمال الرسل ١٢)...

من المفروض أن النتائج تأتى متمشية مع البدايات ... لكن فى قصة الصليب وانتشار الإنجيل لم يكن الأمر هكذا. فوسط ظروف بالغة التعقيد والصعوبة أحرزت المسيحية ـ وهى بعد ناشئة ـ النصر تلو النصر على ديانات العالم القديم... **ولم يكن هناك من سبب لسرعة انتشارها سوى أصلها الإلهى، وعناية مؤسسها، وعقائدها السامية، التى كانت فى حد ذاتها شهادة مقنعة على اصالتها...**

فى كل مكان بُشّر فيه بالإنجيل غرست الكنيسة مثال الصليب فنما ونما، وارتفع وارتفع، وصار سبب بركة وخلاص لشعوب الأرض كلها... كل من لدغته الخطية ونظر إليه نال البرء والشفاء، على نحو ما كانت الحية النحاسية التى رفعت قديماً بأمر الله فى البرية... **وصار دم العهد الذى سال عليه عند الجلجثة ينبوع تطهير لكل الخطاة... وكعلامة قوس قزح التى ظهرت قديماً فى السماء بعد الطوفان، وصارت ميثاقاً بين الله والبشر، انه لا يعود يغضب عليهم ويمحوهم من على وجه الأرض... هكذا صار صليب المسيح والدم الذى سال عليه ميثاقاً أبدياً بين الله وخليقته، كلما رآه يرتد غضبه عنهم، إذ فيه تجلى كل غنى وعمق محبة الله ورحمته...**

الصليب والعبادة المسيحية

لماذا يستخدم المسيحيون علامة الصليب ؟

كيف نرشم علامة الصليب ؟

الصليب فى حياة الإنسان اليومية .

الصليب والمبنى الكنسى .

الصليب فى طقوس الكنيسة :

فى التسبحة اليومية - فى أسرار الكنيسة .

أعـــياد الصـــليب .

بالصليب نال الإنسان بركات عديدة ... نال الفداء والخلاص والصلح مع الله وغفران خطاياه. وبها دُحِرَ الشيطان وقُيِّد... **لكن الصليب فى كل ذلك لم يكن مجرد آلة أو أداة استخدمت، وتمت بها كل هذه البركات، لكنه أصبح حاملاً لمضمونها، وصار له قوة فعالة تحمل هذه البركات واستمراريتها... وهكذا لم يعد الصليب مجرد الآلة التى تم بها الفداء وحسب، ولكنه غدا شريكاً فى كل ما تم عليه...** ولعل هذا هو ما يعنيه بولس الرسول حينما يقول عن المسيح **«عاملاً الصلح بدم صليبه»** (كولوسى ١ : ٢٠) ...

فى هذا النص السابق نرى كيف أن الرسول ينسب دم المسيح للصليب الذى صُلب عليه « دم صليبه » . هكذا يظهر لنا الوحى الإلهى القوة السرية للصليب المجيد... **وهذا هو عين ما تعلّم به الكنيسة...** ففى القسمة السريانية بالقداس الإلهى يقول الكاهن عن السيد المسيح « **وأمَّن بدم صليبه**، ووحّد والف السمائيين مع الأرضيين. والشعب مع الشعوب، والنفس مع الجسد...»... **وهكذا يحمل الصليب نفسه قوة إلهية غير منظورة، وبذا يُصبح سلاحاً قوياً من أسلحة الإيمان المسيحى.**

وقد كشف الصليب سرّ الثالوث وحقيقته ... فمن أجل الصليب - أى موت المسيح الكفارى - تجسّد ابن الله وأخذ جسداً حقيقياً مساوياً لنا، ومات على الصليب، وقام من بين الأموات اعلاناً عن الوهته، وارسل لكنيسته الباركليت الروح القدس المعزى ليمكث معها وفيها إلى الأبد... **وهكذا صار الصليب الواسطة لكشف سرّ الثالوث فى الله الواحد** « السرّ الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية. ولكن ظَهَر الآن وأُعلم به

جميع الأمم » (رومية ١٦ : ٢٥ ، ٢٦) .

هذا عن سرّ الثالوث القدوس وهو العقيدة الكبرى فى المسيحية ... **لكننا فى موضوع هذا المساء سوف نرى الصليب وعلامة الصليب فى كل أسرار الكنيسة وطقوس العبادة والصلوات والحياة المسيحية بجملتها على المستوى الفردى والجماعى...**

لماذا يستخدم المسيحيون علامة الصليب ؟

منذ نشأة المسيحية استخدم المسيحيون علامة الصليب ... هذه حقيقة يؤكدها جميع العلماء والباحثين ... **فالصليب وعلامة الصليب تراث تقليدى يتغلغل فى حياة المؤمنين بتسليم رسولى ...** يقول باسيليوس الكبير [لقد تسلّم المسيحيون علامة الصليب ضمن التقاليد غير المدوّنة التى انحدرت إليهم من رسل المسيح ، الذين علّمونا أن نرسم بعلامة الصليب أولئك الذين آمنوا باسم الرب يسوع المسيح] .

وتعلّم الكنيسة أبناءها المؤمنين أن يرسموا علامة الصليب على ذواتهم عند بدء الصلوات وفى ختامها . عند النوم وحال اليقظة . فى دخولهم إلى بيوتهم وخروجهم منها . فى أكلهم وشربهم . عند بدء كل عمل ، وعند ارتداء ثيابهم ... وبالجملة فإن علامة الصليب تتخلل حياتهم اليومية ... لقد صاحبت كل عمل دينى أو دنيوى فى حياة المسيحى من اليقظة فى الصباح حتى رقاد النوم فى الليل .

يقول العلامة ترتليانوس [فى كل أسفارنا وتحركاتنا . وفى كل دخولنا وخروجنا . فى لبس ثيابنا . فى الحمّام وعلى المائدة . فى اضاءة شموعنا . فى

رقادنا وفى جلوسنا . وفى كل اشغالنا ، نرسم جباهنا بعلامة الصليب] ...

ويقول القديس امبروسيوس أسقف ميلان [يجب علينا حال استيقاظنا أن نشكر المسيح ، ونؤدى كل عملنا اليومى بعلامة الصليب] .

وفى رسالة للقديس ايرونيموس (جيروم) لعذراء تدعى يوستخيوم يقول لها : [ومهما كنت تعملين ، واينما ذهبت ، اعملى بيديك علامة الصليب] .

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى فى تعليمه للموعوظين : [ليتنا لا نخجل أن نعترف بالمصلوب . **ليكن الصليب هو خاتماً الذى نرسمه بشجاعة بأصابعنا على جبيننا ، وعلى كل شىء .** على الخبز الذى نأكله ، والكؤوس التى نشربها . فى دخولنا وخروجنا . قبل نومنا ورقادنا وحين يقظتنا . وأثناء سيرنا فى الطريق ، وحال راحتنا] .

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم [إن علامة الصليب التى كان الناس يفزعون منها قبلاً ، صار كل واحد يتنافس عليها ، حتى صارت فى كل مكان بين الحكام والعامة . بين الرجال والنساء . بين المتزوجين وغير المتزوجين . بين الأسرى والأحرار. الجميع يصنعونها فى كل موضع كريم ومكرم ، ويحملونها يومياً ، وكأنها منقوشة على جباههم كما على عمود . نراها على المائدة المقدسة ، وفى رسامة الكهنة . ونراها متألقة فوق جسد المسيح فى العشاء السرّى . وفى كل مكان يمكن للإنسان أن يلاحظه . يحتفى بها فى البيوت ، فى الأسواق ، فى الصحارى ، وفى الطريق العالية فوق الجبال ، فى شقوق الأرض ، فوق التلال ، وفوق البحر . فى السفن فى الجزر ،

فى العربات ، فى الثياب . فوق الآنية الذهب والفضة ... على اجسام الاشخاص الذين بهم أرواح نجسة ... فى الحرب والسلم . نهاراً وليلاً . فى تجمعات النسّاك . وهكذا يتنافس الجميع فى البحث عن هذه الهبة العجيبة ، والنعمة التى لا يُعَبّر عنها] .

فلماذا يرسم المسيحيون علامة الصليب ؟

١ - ليبرهنوا على تبعيتهم للمسيح المصلوب ... فالصليب هو العلامة المميزة للمؤمنين بالمسيح ، المنضمين تحت لوائه ، لأنه علامة مخلّصهم (متى ٢٤ : ٣٠) ... يقول **القديس اغسطينوس** [نحن نعرف أعضاء المسيح ، أنهم أعضاء المسيح حقيقة ، بحملهم علامة الصليب] ... و يقول **القديس كيرلس الأورشليمى** [اجعلوا الصليب أساس إيمانكم الذى لا يتزعزع ، وابنوا فوقه كل عوامل الإيمان الأخرى ... فالصليب سوف يظهر مرة أخرى فى السماء كالعلم الذى يتقدم أمام الملك . وحينئذ ينظر إليه الذين طعنوه والذين استهزأوا به . وإذ يعرفونه (المسيح) من الصليب يندمون حيث لا زمان للتوبة . أما نحن فنفتخر بالصليب ونعظمه عابدين الرب الذى أتى وصُلب عليه] .

٢ - اعلاناً لإيمانهم المسيحى وافتخاراً بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به تم فداؤنا وخلاصنا وانفصالنا عن الشيطان والعالم ، وانطلاقنا من أسر الجحيم وعبودية إبليس «أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صلب العالم لى وأنا صلبت للعالم» (غلاطية ٦ : ١٤) .

٣ - إيماناً من المسيحيين بأن جميع بركات العهد الجديد الروحية إنما كانت بفضل صليب مخلصنا، وكذلك جميع الوسائط الخلاصية ومواهب الروح القدس قائمة على استحقاقات الفادى المصلوب. ولم تأخذ قوتها وفعاليتها إلاَّ بصلبه وسفك دمه على الصليب. والكنيسة كلها قد اشتريت من جديد بدم ابن الله الذى سال على الصليب (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨).

٤ - وحين يرسم المؤمنون الصليب على جباههم، أو حين يرسمه الكهنة على المؤمنين أو على اوانى الكنيسة يذكرون كل المعانى التى تشتمل عليها الديانة المسيحية... فيذكرون عمل المسيح الفادى وخلاصه العظيم، وجميع البركات الخلاصية النابعة من الصليب... و يذكرون أنهم ليسوا بعد لأنفسهم، بل للذى مات لأجلهم وقام (كورنثوس الثانية ٥ : ١٥)... و يذكرون أنهم اشتروا. بدم ثمين، فعليهم أن يمجدوا الله فى أرواحهم وفى أجسادهم التى هى له (كورنثوس الأولى ٦ : ٢٠)... وعندما يذكرون تلك المعانى تضطرم فيهم محبة الله، و يزدادون تعلقاً به ورجاء فيه...

إذن فعلامة الصليب - والحال هذه - ليست سوى خلاصة سريعة للمسيحية فى عقائدها وروحياتها. فإذا رسمنا الصليب استعدنا فى لحظة المعانى المرتبطة بالصليب من إيمان بالله ووحدة طبيعته وتثليث أقانيمه ولاهوت المسيح وتجسده وصلبه وفداءه وقيامته، وما ارتبط بكل هذه الأحداث من بركات خلاصية.

٥ - لكن للصليب فوائد أخرى غير تلك التى ذكرناها :

أ - فبرسم علامة الصليب يطرد المسيحيون قوات الشر المحيطة ... لأن الشيطان الذى هُزم بالصليب لا يطيق هذه العلامة التى بها سُحق واندحر... يقول القديس يوحنا ذهبى الفم [ارسم علامة الصليب على جبهتك ، لأنه - ليس فقط لا يقدر أى عدو بشرى أن يضرّك بأية صورة - بل حتى الشيطان نفسه ، حينما يراك فى أى موضع محمياً بهذا السلاح] ... **ويقول البابا أثناسيوس الرسولى** [مَنْ يريد أن يطلب برهاناً عملياً ، فليأتِ لينظر كيف تبطل خداعات الشياطين والعرافة الكاذبة وعجائب السحر بمجرد رسم علامة الصليب التى يسخرون منها . **وسوف يرى كيف يهرب الشياطين بقوة هذه العلامة] .**

ويقول المدافع المسيحى لكتانتيوس [يكفينا الآن أن نوضح القوة الفعالة العظيمة التى لعلامة الصليب ، وكيف أن هذه العلامة أصبحت فزعاً للشياطين ، لأنه كما أن المسيح عندما كان عائشاً بين الناس يطرد الشياطين بكلمته ، و يعيد للمرضى والمنزعجين والمجانين صحتهم وحواسهم التى أفسدتها الشياطين بهجماتها الخطيرة - والتى اندست داخل أجسادهم - كذلك الآن فإن اتباع المسيح يخرجون هذه الأرواح النجسة من الناس باسم المسيح وبعلامة الصليب ... فتخرج معذبة مصروعة معترفة أنها شياطين ومستسلمة لمصيرها بيد الله . **ولكن الشياطين لا تجرؤ أن تقترب من المسيحيين ، حينما ترى فيهم هذه العلامة السماوية (الصليب) ، ولا تستطيع أن تسىء إلى مَنْ لهم هذه العلامة الحية (الصليب) التى تصير لهم كسورٍ منيع يحميهم] .**

ب - وبرسم علامة الصليب يتشجع المؤمنون فى مواجهة الصعاب والتجارب ضد إيمانهم :

يقول العلامة ترتليانوس [يُرسم الجسد بعلامة الصليب حتى ما يتحصّن الذهن] ... وكبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد يشجع الشهداء بقوله : [حصّنوا جباهكم حتى ما تظل علامة الله (الصليب) محفوظة سليمة » ... **ويهنىء كبريانوس أولئك الذين لم ينكروا الإيمان بقوله :** [الجبين - وقد تقدّس بعلامة الله (الصليب) ، لا يمكن أن يحتمل إكليل الشيطان ، بل يُحفظ لإكليل الرب] .

ويقول ميثوديوس أسقف اوليمبوس **[لأن الصليب إذا أردنا أن نصفه ، فهو علامة تثبيت النصرة . الطريق الذى انحدر عليه الربُ إلى الناس . علامة هزيمة الأرواح ضد الموت .** أساس الصعود إلى اليوم الحقيقى (الخلود) . آلة الصعود للذين وهُبوا أن يبنوا الكنيسة . الحجر ذو الأربع زوايا المنحوتة بإحكام على كلمة الله ... **وإذ جعله الله علامة خزى للشياطين ، فلا ينبغى أن نخجل نحن منه ، بل نقبله ، لأنه اعطى لنا ليفك رُبطنا التى صنعناها بعصياننا لله] .**

يقول القديس الأنبا أنطونيوس أب الرهبان [إن الشياطين توجه هجماتها المنظورة للجبناء . **فارسموا انفسكم بعلامة الصليب بشجاعة . ودعوا هؤلاء يسخرون من ذواتهم . وأما أنتم فتحصنوا بالصليب] ...** ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** [لا يضعف أحدكم . **وخذوا سلاحكم إزاء المحن ، وبالأخص بسبب الصليب نفسه . اعلنوا**

إيمانكم بالصليب ، واشهروه كراية ضد المقاومين والمنكرين له . وعندما تبدأون المناقشة مع غير المؤمنين بصليب المسيح ، اصنعوا أولاً إشارة الصليب بإبهام يدكم . وحينئذ سوف يسكت المقاومون . ولا تخجلوا من الاعتراف بالصليب ... لأن الصليب تاجُ مجدٍ وليس عاراً] .

جـ - والصليب علاج ضد التجارب من جهة بعض الخطايا ... يقول القديس يوحنا ذهبى الفم [الصليب دواء للغضب] ... و يقول القديس امبروسيوس فى الحث على البتولية [الصليب دواء للشهوة الدنسة] ... و يقول الشيخ الروحانى [كلما الوح لهم (الشياطين) بعلامة صليب مخلصنا أراهم يعودون إلى الظلمة ، وأرى نارهم تنطفىء . هذا تعلمته من الجبار أنطونيوس الذى غلب الشيطان ودوّخه] .

د - و يستخدم الصليب شافياً من المرض أو السم ، وعلامة قوة على كل قوى الطبيعة المعادية لنا ... يقول القديس يوحنا ذهبى الفم [هذه العلامة (الصليب) منذ أيام اسلافنا وحتى الآن فتحت الأبواب المغلقة وابطلت مفعول السمّ ، وشفت عضة الحيوانات السامة] .

و يقول البابا أثناسيوس الرسولى [أعطانا السيد المسيح إلهنا الصليب سلاحاً نافذاً ينفذ فى النار والهواء والماء والأرض ، ولا يحجبه شىء ، أو يعترض قوته عارض . فهو قوة الله التى لا تقاوم . تهرب من صورته الشياطين حينما يُرسم به عليها . الصليب هو قوة المسيح للخلاص . والملائكة يخضعون لقوته ، و يتبعون حيثما شاهدوا رسمه

ليعينوا الملتجىء إليه . ولا تحصل تخلية لمن حمل الصليب إلاّ لمن ضعف إيمانه فيه] .

ويقول مار افرام السريانى [بدلاً من أن تحمل سلاحاً أو شيئاً يحميك، احمل الصليب، واطبع صورته على أعضائك وقلبك. وارسم به ذاتك - لا بتحريك اليد فقط، بل ليكن برسم الذهن والفكر أيضاً] .

و يقول القديس كيرلس الأورشليمى [إن كانت الحية النحاسية قد ابطلت سم الحيات فى العهد القديم، فكم بالحرى صليب ربنا يسوع المسيح الذى رُفع عليه - ليس حية نحاسية بل رب المجد. لقد سكب دمه على الصليب ليصير لنا بالدم الحياة، وبالصليب النصرة] .

وسير القديسين والشهداء مليئة بالقصص الخاصة بالصليب وقوته :

فى قصة استشهاد الشهيد مار جرجس المعروف استعان الملك دقلديانوس بساحر يدعى اثناسيوس، وجهزّ له مشروبين فى كأسين. الكأس الأولى أقل قوة من الثانية. بحيث لو شرب الكأس الأولى وأظهر خضوعاً، وإلاَّ فليشرب الكأس الثانية وبها سمّ قاتل... لكن مار جرجس شرب الكأس الأولى بعد أن رشم عليها علامة الصليب بيده، فلبث كما هو. فقالوا له أن هذه العلامة ليست سوى السحر بعينه. فربطوا يديه خلف ظهره وقدموا له كأس السم الثانية ليشربها. أما هو فقال لهم مشيراً برأسه، اتريدونى أن أشربها من هنا أم من هنا أم من هنا... وكان فى ذلك يرشم بعلامة الصليب برأسه دون أن يفطنوا لذلك. ثم شربها فلم يقتله السم...

وكان هذا سبباً فى إيمان الساحر أثناسيوس .

وفى قصة القديس الأنبا برسوم العريان ـ وهو ابن كاتم سر شجرة الدر ـ أنه توحّد فى مغارة خارج مصر القديمة لمدة خمس سنوات ، ثم ترك المغارة وقصد كنيسة أبى سيفين بمصر القديمة ، ليسكن فى حجرة بها أشبه بالمغارة منخفضة عن سطح الأرض . وحينما دخلها لأول مرة وجد بها ثعباناً ضخماً . فرسم نفسه بعلامة الصليب وكذا على الثعبان وردد مزمور داود « تطأ الأفعى وملك الحيات ، تسحق الأسد والتنين » ... ولبَدَ الثعبان فى ركن المغارة . ثم قال له القديس [من الآن تكف عن ايذاء الناس وتخضع لى للسلطان الذى منحه إياى ربى عليك] . وقد خضع الثعبان بالفعل ، وعاش مع القديس فى هذه المغارة عشرين سنة .

وهناك كاهن معاصر يدعى أبونا إبراهيم كان على كنيسة فى بلدة بنى صامت قرب بنى مزار. كان شيخاً قديساً وعمر طويلاً وتنيح منذ نحو عشر سنوات ... وقد روى لى بنفسه هذه القصة ... غادر بلدته قاصداً القاهرة . وقد حمّله بعض الناس مبالغ لتوصيلها لذويهم بالقاهرة . وركب قطار السكة الحديد وفشل أحد النشالين فى سرقته . وما أن وصل إلى محطة القاهرة حتى استوقفه شخصان وقبّلا يديه . وشدّدا عليه أن يمضى الليلة معهما . وتناول العشاء ودخل إلى غرفة وأغلق الباب ورشم بيده علامة الصليب على الباب والنوافذ وهو يقول « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، أما عندنا نحن المخلّصين فهى قوة الله » ... ونام ليلته . وفى الصباح قام وفتح باب حجرته ، وإذا بالشخصين اللذين استضافاه يسجدان تحت قدميه وهما يقولان له : [سامحنا يا أبونا] . فكان جوابه [اسامحكم . مش

كترّ خيركم أنكم بيّتونى وتناولت العشاء وشربت الشاى] ... قالا له ... احنا اتينا بلك هنا لنسرقك. وانتظرنا عليك حتى تنام. وكنا كلما اقتربنا من الحجرة نرى سيفاً من النار على الباب فلا نستطيع الدخول ... وكان هذا الأب بسيطاً جداً.

وفى قصة حياة البابا متاؤوس البطريرك ٨٧ أن أتاه يوماً أحد كتبة ديوان السلطان برقوق وهو مضطرب وقدم له خمسمائة دينار وقال له [يا رجل الله تقبل منى هذا المال وصلِّ من أجلى ، لأن السلطان برقوق يريد قتلى اليوم ولا أجد مخرجاً من هذه الورطة] . أجابه البابا [احتفظ بذهبك لنفسك لأن الصلاة التى بالذهب لا قيمة لها . وإن أردت أن تخلص أعِدْ الذهب إلى مكانه وخذ صليبى ومنديلى معك ، وادخل بهما إلى حضرة السلطان] . ثم صلى على رأس الرجل وأعطاه الصليب والمنديل . واطاع الكاتب أمر البابا ، وذهب إلى السلطان الذى كان فى شدة الغضب . ولكن ما أن رأى كاتبه حتى هدأت نفسه وأصغى إليه . لقد حدث تحوّل عجيب لم يكن يعرف سرّه إلاّ الكاتب والبابا متاؤوس .

هـ ـ كما استخدم الصليب لتطهير الأماكن وتقديس الكنائس والأوانى والطعام والشراب وغيرها من الأشياء التى أعتبرت غير طاهرة . أوالتى استخدمت فى أغراض وثنية فى العصور الأولى .

كيف نرشم علامة الصليب :

مَرّ رشم علامة الصليب بعدة مراحل :

المرحلة الأولى كان يرسم بإبهام اليد اليمنى على الجبهة إما مرة واحدة

أو ثلاث مرات كما يتضح من قول لذهبى الفم .

المرحلة الثانية ، وكان يرسم بعلامة الصليب على الجبهة ثم القلب ثم الذراع ... يقول القديس امبروسيوس [نرسم علامة الصليب على جبهتنا ثم قلبنا . نرسمه على جبهتنا حتى ما نعترف بالمسيح ، وعلى قلبنا حتى ما نحبه دائماً . وعلى ذراعنا حتى ما يكون عملنا له] .

المرحلة الثالثة ، كانت علامة الصليب تتم على اسم الثالوث القدوس إما بالقول شفاهاً أو بالرشم . يقول العلامة ترتليانوس [الإيمان يختم باسم الآب والابن والروح القدس] .

المرحلة الرابعة ، منذ بداية القرن السادس الميلادى بدأ يستقر طقس رسامة الصليب كما هو معروف لدينا الآن . اليد ترتفع إلى الجبهة ثم تنزل إلى القلب ثم إلى الكتف الأ يسر ومنه إلى الأيمن . والابهام يكون فى وضع متقاطع مع السبابة مكوناً شكل صليب ..

المرحلة الخامسة ، وفى نفس القرن السادس أيضاً ظهرت طريقة أخرى وهى رسامة الصليب على الجبهة باسم الآب لأنه رأس الكل ، ثم على الفم باسم الابن باعتباره كلمة الآب ، ثم على القلب باسم الروح القدس باعتباره رباط الحب .

أما عن الأصابع التى يرشم بها : فإما أن يستخدم الابهام بمفرده ، أو السبابة بسبب ما قاله المسيح لليهود «إن كنت باصبع الله اخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (لوقا ١١ : ٢٠) ... والمعتاد أن الإنسان يعطى أمراً يشير معه بالسبابة ... وإما أن يستخدم الإنسان فى الرشم

ثلاثة أصابع أو الخمسة معاً . والاصبع الواحد يمثل الله الواحد ، والثلاثة أصابع تمثل الثالوث القدوس . أما الخمسة أصابع فتمثل جراحات المسيح الخمسة على الصليب .

والمفهوم الحالى لرشم الصليب ، هو أن وضع الاصبع على الجبهة اعلان عن الله الآب فى السماء . وتحريك اليد إلى الصدر إشارة إلى التجسّد ونزول إبن الله إلى الأرض لفدائنا . ونقل اليد إلى ناحية الكتف الأيسر ، ثم تحريكه إلى الأيمن إشارة إلى فاعلية الروح القدس الذى نقلنا من التدبير الشمالى إلى اليمينى كما تقول القسمة السريانية بالقداس الإلهى .

الصليب فى حياة الإنسان اليومية :

سبق أن عرضنا لأقوال بعض آباء الكنيسة فيما يختص باستخدامات إشارة الصليب فى كل حركة وكل سكنة فى حياة المسيحيين ... و يكفى للتدليل على ذلك ما قاله العلامة ترتليانوس أواخر القرن الثانى الميلادى [فى كل أسفارنا وحركاتنا . فى دخولنا وخروجنا . فى لبسنا . فى الحمام ، وعلى المائدة . فى اضاءة شموعنا . فى رقادنا وفى جلوسنا . وفى كل أشغالنا نرسم جباهنا بعلامة الصليب] .

وفى القطع الأثرية المعروضة بالمتحف القبطى بمصر القديمة بالقاهرة ، نرى مدى تغلغل فكرة الصليب وتأثيرها على عقول اسلافنا من المسيحيين الأوائل ... فالنسيج الكتانى يتخلله الصلبان . ليس فقط للزينة ، لكن إيماناً ببركة الصليب على الثياب التى يرتديها الإنسان ... وهناك اطباق من الخزف والفخار محّلاة بالصلبان فى قاعها وعلى

حوافها ... وحتى القلل الفخارية ، ترى مكان الثقوب التى يمر منها الماء صلبان فى غاية الدقة ، إيماناً منهم أن مجرد مرور الماء من هذه الصلبان تتقدس وتتبارك ، حتى لو كان فيها شيء ضار يبطل مفعوله .

الصليب فى صلوات الأفراد الخاصة :

قد يكون من الصعب تتبع ممارسات استخدامات الصليب فى الصلوات الخاصة للأفراد العاديين من المؤمنين ... لكن يمكن الوصول إلى ذلك عن طريق التقاليد والحياة الرهبانية ... على أن الرهبنة ليست شيئاً مختلفاً عن حياة المسيحيين العاديين . فجميع الفضائل المطالب بها الرهبان والنساك ، مطالب بها العلمانيون . غير أن هذه الفضائل تصل إلى أكمل صورها فى الرهبنة ، باعتبار الرهبان قد كرسوا حياتهم للعبادة وانقطعوا لها ... **فالتقوى والنسك والزهد ليست أموراً مستحدثة على المسيحية ، بل هى ميراث رسولى ، وصورة للحرارة الروحية فى الكنيسة الأولى .**

من التقاليد الرهبانية أن يحمل الراهب صليباً فى يده أثناء الصلاة ... **يقول بلاديوس** كاتب بستان الرهبان عن الآباء الرهبان [**الذين باعوا كل شيء ، وأعطوه للفقراء . وفى كل ساعة ليلاً ونهاراً حملوا الصليب ، وتبعوا المخلّص بالصلوات**] .

إن حمل الصليب فى الصلاة إنما هو تعبير عن حياة الإنسان المصلّى « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غلاطية ٥ : ٢٤) ... **يقول مار اسحق** من كبار المتوحدين يصف راهباً فى سنّ الاربعين وهو يصلى [كان يبدأ بالمزامير و يستمر فيها . ثم بغتة ينحنى

و يسجد ويخرّ بوجهه على الأرض ، معفراً جبينه بترابها مقدار مائة دفعة متواتراً بحدة من شدة الحرارة التى كانت تشتعل فى قلبه من النعمة . وكان كلما قام يقبل الصليب . ثم يسجد و ينهض أيضاً يقبل الصليب ، ثم يخرّ على وجهه . وكان احياناً يقبل الصليب عشرين مرة باشتياق وحب ممتزجين بمخافة الله ... وبكثرة الصلوات كان يرفع يديه إلى السماء بشبه الصليب ، ويمجد و يشكر دفعات كثيرة] ...

يقول المدافع المسيحى مينوكيوس فيلكس فى حوار مع الوثنيين [نحن لا نعبد الصلبان ، ولا نهتم بها من أجل ذاتها ... لكن حينما يقف الإنسان يصلى بعقل طاهر و يداه مبسوطتان ، فهو نفسه يكون مثال الصليب] .

الصليب ومبنى الكنيسة :

بنيت الكنيسة إما على شكل صليب أو دائرة أو سفينة ... وكل من هذه الأشكال له مدلوله الخاص . فإذا بنيت الكنيسة على شكل صليب ، فإنما يعبر ذلك عن طبيعة الكنيسة السرّية كجسد المسيح المصلوب ، ورسالتها هى جذب البشرية إلى حيث الجلجثة ، لتمارس اتحادها مع مخلصها الذى بذل ذاته على الصليب حبّاً بها ... أما شكل الدائرة فإنما يُعبر عن طبيعة الكنيسة الأبدية . فالدائرة لا بداية لها ولا نهاية . والكنيسة فى هذه الحالة إنما تصوّر عرس الحمل الأبدى ... أما بناء الكنيسة على شكل سفينة فيذكّر بفلك نوح ورسالته زمان الطوفان . لقد كان الفلك سبباً فى نجاة من بداخله ... انه تعبير عن المبدأ الإيمانى انه

لا خلاص خارج الكنيسة ... فجميع الذين لم يدخلوا الفلك هلكوا ...

والكنيسة فى حقيقتها السرية غير المنظورة هى صليب الرب . فيه يتمجدّ جسده أى شعبه ... لهذا يرتفع الصليب فوق أماكن كثيرة داخل الكنيسة وخارجها ... **يرتفع أعلى العرش فوق المذبح ، ويتوسط أعلى حامل الأيقونات (حجاب الهيكل) ، ويعلو المنارة خارج الكنيسة ...** ويستخدم الكهنة صليب يد فى الخدمات الطقسية ، كما يحملونه أثناء التعليم والكرازة .. ويحمله الشمامسة فى مقدمة المواكب الكنسية ... وهكذا يرتبط الصليب بحياة الكنيسة كلها .

لكن هل من علاقة بين الصليب والمذبح وحامل الأيقونات ومنارة الكنيسة ؟

فى كنيستنا القبطية لا نثبت صليباً فوق المذبح ذاته كما فى بعض الكنائس غير الأرثوذكسية ، **لأن المذبح نفسه هو الجلجثة أو صليب الرب نفسه ...** أما عن صليب اليد الذى يستخدمه الكاهن فى الصلوات الطقسية وغيرها ، **فهو تعبير عملى على أن العمل الكهنوتى يقوم على اختفاء الكاهن فى صليب الرب . فهو لا يعمل من ذاته ، لكن الله هو الذى يعمل به . والمسيح هو راعى نفوسنا واسقفها (بطرس الأولى ٢ : ٢٥) . وهو تعبير دقيق شامل على أن كل عبادتنا إنما تتم خلال ذبيحة المسيح وفى اسمه ... هذا فضلاً عن أن الصليب إنما يرمز للمسيح ويمثله .**

أما عن ارتفاع الصليب فوق حامل الأيقونات (حجاب الهيكل) **فهو اعلان عن أن الاتحاد بين القديسين المثبتة أيقوناتهم ، والخليقة السماوية**

إنما يتحقق من خلال صليب الرب المثبت فى اعلا جزء منه .

أما عن المنارة خارج الكنيسة ، فإن تثبيت الصليب أعلاها ، إنما يشير إلى العَلَم الإلهى ، الذى يُظهر خضوع الكنيسة بمَنْ فيها وما فيها للرب المصلوب ... وهو فى نفس الوقت يعلن رسالة الكنيسة ألاَّ وهى تبعيتها للمسيح المصلوب ولصليبه ... كما يشير هذا الصليب المرفوع عالياً فوق المنارة إلى مجىء المسيح الثانى للدينونة . إن علامة ابن الإنسان التى ستظهر فى السماء فى مجىء المسيح الثانى (متى ٢٤ : ٣٠) ، ليست سوى الصليب . وكأن الصليب المرتفع اعلا المنارة انما يدعو الشعب للاستعداد للقاء الرب والدينونة ... وليس هذا فحسب ، بل **إن صليب المنارة يذكرنا بعض المعانى التى تمت فى الصليب وبه ...** انه يذكرنا بالمحبة والسلام والمصالحة التى يجب أن تسود علاقاتنا بعضنا ببعض . فبالصليب تم سلامنا مع الله ، وهو الذى قتل العداوة **«لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ، ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ... ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب ، قاتلاً العداوة به »** (أفسس ٢ : ١٤ ، ١٦) .

إن الصليب عبارة عن قائمتين خشبيتين ، احداهما تمتد افقياً ، والأخرى تمتد رأسياً ... إن القائم الافقى الذى امتدت عليه ذراعا الرب ، إنما يشير إلى توحيد العالم كله وجمعه فى شخصه . فالمسيح صلب من أجل العالم كله ، اليهود والأمم وهما الشعبان .. أما القائم الرأسى فيشير إلى الرسالة التى اتمها الرب على الصليب ... انه يتجه من الأرض إلى السماء ... لقد ربط الأرض بالسماء ، «ووحد وألّف السمائيين مع

الأرضيين ، والشعب مع الشعوب ، والنفس مع الجسد » (القسمة السريانية) ... إن الصليب يذكرنا بالسلّم الذى رآه يعقوب فى رؤيا فى بيت إيل ، منصوبة على الأرض ورأسها يمسّ السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها (تكوين ٢٨ : ١٠ - ١٧) ..

الصليب فى طقوس الكنيسة :

ولأن الصليب هو جوهر العبادة المسيحية ، لذا نحن نراه مستخدماً فى كل الممارسات الطقسية وممارسات العبادة ... وبطبيعة الحال سوف لا نستطيع الاحاطة بكل شىء ، لكننا سنحاول بقدر الإمكان أن نركز على بعض الطقوس .

أ - فى التسبحة اليومية :

إنه أمر طبيعى أن تهتم التسبحة اليومية بإبراز المعانى المرتبطة بالصليب ، وعلى سبيل المثال : **فى ثؤتوكية الأحد** « شبهوا عصا هارون بخشبة الصليب التى صُلب ربىّ عليها حتى خلصنا . شبّهوا رئيس الكهنة بمخلصنا الذبيحة الحقيقية لمغفرة الخطايا . هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا . فاشتمّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة » .

وفى مديح ϪЄNNⲁϪ **الخاص بقيامة المسيح** يقول « ننظر إلى قيامة المسيح . ونسجد للقدوس يسوع المسيح ربنا ، الذى بلا خطية وحده . نسجد لصليبك أيها المسيح . نسجد ونمجّد قيامتك لأنك أنت هو إلهنا ولا نعرف أحداً سواك ، وباسمك دعينا ... تعالوا يا جميع المؤمنين لنسجد لقيامة

المسيح ، لأن من قبل صليبه دخل الفرح إلى العالم كله . فلنبارك الرب كل حين ونمجد قيامته لأنه صبر وسحق الموت بموته » .

وفى مديح للثلاثة فتيه ⲁⲣⲓⲯⲁⲗⲓⲛ يقول :

« رتلوا للذى صُلب عنا ، وقُبر وقام ، وأبطل الموت واهانه . سبحوه وزيدوه علواً » .

إبصالية يوم الجمعة :

« هذا هو اسم الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح وصليبه المحيى ، الذى صُلب عليه . طوبى للإنسان الذى يترك عنه هذا العمر واهتماماته المملوءة تعباً ، القاتلة للنفس ، ويحمل صليبه يوماً فيوماً . و يلصق عقله وقلبه باسم الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح » .

ذكصولوجية الصليب تُقال فى عيده :

« نحن أيضاً معشر الشعوب أبناء الارثوذكسيين نسجد لصليب ربنا يسوع المسيح . بولس الرسول ينطق بكرامة الصليب قائلاً ليس لنا ان نفتخر إلاّ بصليب المسيح . أيها المؤمنون فلنسبح ربنا يسوع المسيح ، ونسجد لصليبه الخشبة المقدسة المحيية . نفتخر بك أيها الصليب الذى صُلب عليك يسوع ، لأنه من قبل مثالك صرنا أحراراً . افواه الارثوذكسيين والسبع طغمات الملائكة يفتخرون بك أيها الصليب الذى لمخلصنا الصالح . نحملك على اعناقنا أيها الصليب ، ناصر المسيحيين بشجاعة ، ونصرخ جهاراً . السلام لك أيها الصليب فرح المسيحيين ، الغالب ضد المعاندين ، وثباتنا نحن معشر المؤمنين . السلام لك أيها الصليب عزاء المؤمنين وثبات الشهداء حتى

اكملوا عذاباتهم ... السلام لك أيها الصليب سلاح الغلبة . السلام لك أيها الصليب عرش الملك . السلام لك أيها الصليب علامة الخلاص . السلام لك أيها الصليب النور المشرق . السلام لك أيها الصليب سيف الروح . السلام لك أيها الصليب ينبوع النعم . السلام لك أيها الصليب كنز الخيرات . السلام لك أيها الصليب إلى كمال الدهور . قائلين السلام لك أيها الصليب الذى حمله الملك قسطنطين معه إلى الحرب ، وقتل البربر . مكرّمة جداً علامة الصليب الذى ليسوع المسيح الملك إلهنا الحقيقى . الذى صُلب على الصليب ، حتى خلّص جنسنا . ونحن أيضاً فلنكرّمه صارخين قائلين : الصليب هو سلاحنا . الصليب هو رجاؤنا . الصليب هو ثباتنا فى ضيقاتنا وشدائدنا . لأنه مبارك المسيح إلهنا وصليبه المحيى الذى صُلب عليه حتى خلصنا من خطايانا . نسبحه ونمجده ونزيده علواً كصالح ومحب البشر . إرحمنا كعظيم رحمتك » .

ب ـ أسرار الكنيسة :

نشير باختصار إلى استخدامات الصليب فى أسرار الكنيسة السبعة .

١ ـ الصليب فى المعمودية المقدسة :

كانت مراسم التعميد فى الكنيسة الأولى تشمل طقساً هو طقس الختم SPHRAGIS أى نقش علامة الصليب على جبهة المتقدم للعماد وقت اجراء التعميد ـ يقول باسيليوس الكبير عن هذا الطقس القديم انه يرجع إلى عهد الرسل [الذين علمونا أن نضع علامة الصليب على اولئك الذين يلقون رجاءهم على اسم الرب] ... إن علامة الصليب هذه التى تطبع على جبهة

الشخص المتقدم للعماد تُظهر أنه اصبح من الآن فصاعداً للمسيح ، أى أنه ينتمى إلى قطيع المسيح ...

يقول كيرلس الأورشليمى مخاطباً المتقدمين للعماد [اقتربوا واقبلوا الختم السرائرى لكيما يمكن تمييزكم بواسطة المعلم (المسيح)، وكونوا معدودين ضمن قطيع المسيح المقدس والمعروف، لكيما توضعوا عن يمينه] ... و يقول القديس غريغوريوس النزيزى [الختم هو ضمان للحفظ وعلامة الامتلاك ... إن حصّنتم أنفسكم بالختم واسمين أرواحكم وأجسادكم بدهن المسحة والروح القدس ، فماذا عساه أن يحدث لكم] ... و يقول غريغوريوس أسقف نيصص [اسرعوا أيها الخراف نحو علامة الصليب ، والعلامة (سفراجيس) التى سوف تنقذكم من بؤسكم] .

و يقول ديديموس الضرير [لأن الخروف الذى لا توضع عليه هذه العلامة SPHRAGIS إنه هوإلاَّ فريسة للذئاب بعيداً عن معونة الختم] ... و يقول القديس كيرلس الأورشليمى [إن عمل النعمة الذى انطبع على روحك بخاتمه يحول دون أن يبتلعك الشيطان] .

٢ ـ الصليب فى سرّ التثبيت :

يقول ثيودور الموبسيستى [بعد أن تنال النعمة بالمعمودية . وبعد أن تتوشح برداء ناصع البياض يأتى إليك الأسقف و يرسمك على جبهتك و يقول : « فلان قد رُسِمَ باسم الآب والابن والروح القدس » . لأنه كما أن يسوع قد صعد من الماء فإنه أخذ الروح القدس الذى أتى إليه فى شكل حمامة وحلّ عليه . كذلك حيث أنه قد قيل عنه (المسيح) انه قد مُسح

بالروح القدس . وحيث أن هذا يُقال أيضاً عن الذين يمسحون بدهن المسحة ، ان الزيت يلازمهم ، ولا ينزع عنهم ، كذلك فأنت أيضاً يجب أن تقبل الوسم على جبهتك حتى تنال هذا الوسم ، ليحل الروح القدس عليك ، وحتى تُمسح معه] .

وفى طقس الكنيسة السريانية الذى يصاحب مسحة الميرون المقدس يقول « بعد تعميدهم باسم الآب والابن والروح القدس ، على الأسقف أن يقوم بدهنهم بالمسحة وهو يقول : أيها الرب الإله الذى افاح على الملأ العطر الزكى للإنجيل إلى جميع الأمم ، الآن اعطِ أن هذا الزيت يعمل فى المعمّد ، حتى أنه بواسطته تحل رائحة المسيح الزكية فيه بقوة » .

وفى طقس الميرون فى الكنيسة القبطية يُرشم المعمد بالميرون ٣٦ رشماً بمثال الصليب على كل أعضاء جسده .

٣ ـ الصليب فى سرّ الافخارستيا :

فى القداس الإلهى وأثناء تقديس الخبز والخمر ـ يقوم الكاهن الخديم بالرشم بعلامة الصليب على كل من الخبز والخمر أو على كليهما ... هذه الرشومات عددها ٤٢ رشماً كالآتى :

المجموعة الأولى ١٨ رشماً بالصليب على الخبز والخمر ليتمّ تقديسهما إلى جسد الرب ودمه بحلول الروح القدس .

المجموعة الثانية ١٨ رشماً بالصليب على الشعب وعلى الكاهن نفسه والشمامسة الخدام ، حتى ما يُقَدسوا ليؤهلوا للتناول المقدس .

المجموع الثالثة عبارة عن ٦ رشومات على الجسد والدم بعد التحوّل . وهذه الرشومات لا تكون بواسطة صليب اليد بل بغمس الاصبع فى الدم الموجود بالكأس والرشم به على الجسد . ويمسك الاسباديقون (جزء الجسد) والرشم به على الكأس . وذلك حتى ما يصير الجسد والدم معاً وحدة واحدة وسراً واحداً .

٤ ـ الصليب فى سرّ الاعتراف :

نعمة مغفرة الخطايا التى ينالها المعترف إنما يستمدها الكاهن المعرّف من دم المسيح المسفوك على الصليب . لذلك فتوّسط الصليب بين الكاهن المعرّف وشخص المعترف أمر ضرورى ... الكاهن يضع الصليب على رأس المعترف و يرشمه بالصليب على اسم الآب والابن والروح القدس ، و يصلى صلاة التحليل وهى صلاة يتم بها استدعاء الروح القدس الذى ينقل الخطية من على رأس المعترف و يضعها على المسيح حمل الله الذى يحمل خطية العالم ، الذى فى استحقاقاته غير المحدودة ينال المعترف غفران خطاياه .

٥ ـ الصليب فى سرّ مسحة المرضى :

يرشم الكاهن الزيت بمثال الصليب لتقديسه وهو يقول طلبة مطلعها «من أجل السلامة العالية من الرب نطلب ...» . و بعد الانتهاء من الصلوات يُرشم المريض بالزيت بمثال الصليب وعلى اسم الثالوث القدوس ... و يقول القديس كيرلس الأورشليمى [الصليب إلى هذا اليوم يشفى المرضى ،و يطرد الأرواح النجسة ، و يبدد الشعوذة ، ويمحو أثر عقاقير السحر والتعويذ] .

٦ ـ الصليب فى سرّ الزيجة :

فى عقد الاملاك يرشم الكاهن ثلاثاً على اسم الثالوث القدوس .

وبعد أن يضع الكاهن الاكاليل على العروسين يرشمهما بالصليب بمثال الصليب قائلاً :

« كللهما بالمجد والكرامة أيها الآب آمين . باركهما أيها الابن الوحيد الجنس آمين . قدّسهما أيها الروح القدس آمين ... لقد صار الاثنان جسداً واحداً » ... وبعد الألحان المناسبة يضع الكاهن الصليب على رأس كل من العريس والعروس على حدة ويقول صلاة خاصة ... وفى ختام صلوات الاكليل يضع الكاهن يده بالصليب على رأسى العريس والعروس ويصلى التحليل .

٧ ـ الصليب فى سرّ الكهنوت المقدس :

فى رسامة الشماس الكامل (دياكون) والقس ، يرسم الأسقف جبهته بمثال الصليب أكثر من مرة . فبالنسبة للشماس يرشم جبهته بابهامه ويقول « ندعوك فى بيعة الله المقدسة آمين » ... ومرة ثانية يرشم جبهته ويقول « نرسمك يا فلان ... شماساً على المذبح المبدأ بتسميته للارثوذكسيين ببيعة ... باسم الآب والابن والروح القدس » ويكمل الرشومات الثلاثة المعتادة على اسم الآب الابن والروح القدس .

وبالنسبة للقس يرشم الأسقف جبهته بابهامه ويقول « ندعوك فى بيعة الله المقدسة آمين » ... وبعد أن يقول الأسقف « ندعوك يا ... قساً على

المذبح المقدس الذى دعى أولاً للأرثوذكسيين » ، يرشم الثلاثة رشومات على اسم الآب والابن والروح القدس ...

أعياد الصليب :

تحتفل الكنيسة بتذكار عيد الصليب فى اليوم العاشر من شهر برمهات من كل عام ... ولكن نظراً لأن هذا العيد يقع فى الصوم الكبير، فلكى تحتفل به الكنيسة احتفالاً يليق به ، رتبّت احتفالاً آخر له فى يوم ١٧ توت ، و يومين آخرين (١٨ ، ١٩ توت) . و يعامل عيد الصليب معاملة الأعياد السيدية الصغيرة ، فيكسر الصوم الانقطاعى ولا يكسر الصوم نفسه ... وله دورة فى صلاة باكر - وتُقال الألحان الشعانينى - ألحان الفرح .

الصليب والفضائل المسيحية

ماذا علّم المسيح من فوق الصليب ؟

المحبة ـ انكار الذات والطاعة .

الوفاء ـ الاحتمال والصبر .

التمسك بالمبدأ ـ السماء والمظلوم .

التَــــوْبَة :

المسيح المعرَّى من الثياب ـ المسيح المكلل بالأشواك .

المسيح العطشـــان ـ المسيح المطعون بالحربة .

لو كان المسيح إنساناً عادياً كسائر البشر ، لتوقفت رسالته بانتهاء حياته . لكن الذى حدث هو أن رسالة المسيح الحقيقية بدأت ـ و بقوة ـ بعد موته المحيى على الصليب ... كانت رسالته ـ وهو بعد فى الجسد ـ محصورة فى بلاد اليهودية ، و بعد موته وقيامته امتدت إلى العالم كله واضاءته ... لقد ختم المسيح حياته بالصليب ، وظن أعداؤه أنهم نالوا ما أرادوه ، ووضعوا خاتمة لذلك المعلم الذى يدعى يسوع ... لقد دفن فى قبر وضع على بابه حجر عظيم . هكذا ظنوا أن ذكره باد إلى الأ بد ... لكن ما حدث هو العكس تماماً ...

انطلق رسل المسيح وتلاميذه يبشرون العالم كله بنعمة الفادى المخلّص ، الذى نقلهم من الظلمة إلى النور ... لم تكن كرازتهم بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح ، بل بقوة الروح القدس وفعاليته . وكان الصليب ومَنْ صُلب عليه هما حجر الزاو ية فى الإيمان الجديد بالمسيح ... هذا عن نقَلَةَ الإيمان الجديد .

أما عن المؤمنين الجدد ، فكما كان الصليب لهم قوة وخلاصاً ، فقد اصبح لهم معلماً ونبراساً ... ويقول القديس اغسطينوس عن صليب المسيح انه لم يكن فراشاً مات عليه ، بل منبراً علّم من فوقه ومازال يعلم ... ونحن جميعاً من ملئه أخذنا نعمة فوق نعمة (يوحنا ١ : ١٦) ... لقد تفجرت النعمة بالصليب ، على نحو ما تفجرت المياه من الصخرة فى البرية بضربة عصا موسى الخشبية ... ومازالت النعم تتفجر من الصليب لكل من يقترب منه بإيمان ، و يستظل تحت الجنب المطعون بالحربة الذى فاض منه دم ماء ...

كانت العادة أن تكتب علّة المحكوم عليه بالصلب ليحملها معه ... **وكتب فوق صليب المسيح أنه ملك اليهود باللغات اليونانية والرومانية (اللاتينية) والعبرانية (لوقا ٢٣ : ٣٨)... كانت اليونانية هى لغة الثقافة فى العالم وقتذاك. وكانت الرومانية هى لغة الامبراطورية الحاكمة، التى امتدت ممتلكاتها فى قارات العالم القديم الثلاث المعروفة آنذاك. وكانت العبرانية هى لغة شعب الله والأسفار المقدسة... لقد جاء المسيح مخلصا للعالم. وهكذا مات عن العالم أجمع ... ومن فوق صليبه ـ المنبر السامى ـ علّم شعوب العالم، ومازال يعلمهم، الإيمان والفضيلة وكل برّ...**

جاء المسيح إلى العالم فى ملء الزمان (غلاطية ٤ : ٤) ... لقد استخدم الوحى الإلهى تعبير « ملء الزمان » للدلالة على أكثر من مفهوم ... منها « ملء الشر » الذى وصل إليه العالم ـ أى ملء الفساد والتشويه الذى وصل إليه الإنسان، الذى خُلق على صورة الله (تكوين ١ : ٢٦، ٢٧؛ كورنثوس الأولى ١١ : ٧)... لقد جاء المسيح إلى عالم سادته الشرور وعمّته الظلمة، وطغت عليه الانانية وقطعت أوصاله الحروب والاغراءات والمظالم ... عالم ساده الطغيان، وتُرك الفقراء نهباً للأغنياء، والضعفاء غنيمة للأقوياء...

فماذا علّم المسيح من فوق الصليب ؟

فى خدمته الكرازية التى استمرت نحو ثلاث سنين وثلث، علّم المسيح بحياته كما علّم بكلامه ... لكن جماع تعليمه قدمه لنا وللعالم كله من فوق الصليبّ فى كلمات قليلة ومقتضبه لكنها نافذة ومعبّرة ... لقد دُعى المسيح

معلماً ، واستمر فى عطائه التعليمى حتى وهو على الصليب . بل لعله علّم بالصليب بصورة أقوى وأسمى وأكثر فعالية ...

أولاً - المحبـــــة :

فى عظته على الجبل علّم المسيح اليهود قائلاً « سمعتم أنه قيل عين بعين وسنّ بسنّ . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرّك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ... سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأ برار والظالمين . لأنه إن احببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (متى ٥ : ٣٨ - ٤٨) ...

مركز المحبة بين الفضائل :

+ وقد علّم أن المحبة هى « الوصية الأ ولى والعظمى » ... فحين سأله ناموسى « يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس » أجابه « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأ ولى والعظمى والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين

يتعلق الناموس كله والأنبياء » (متى ٢٢ : ٣٤- ٤٠) .

وفى حديثه مع نيقوديموس يكشف عن محبة الله للبشر التى أظهرها فى ابنه يسوع المسيح « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) ... و يكشف يوحنا الرسول عن عظم محبة الله للبشر فيما قال « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب ، إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، احبّهم إلى المنتهى » (يوحنا ١٣ : ١) .

وقد وضع المسيح المحبة علامة يُعرف بها تلاميذه وتابعوه « بهذا يعلم الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يوحنا ١٣ : ٣٥) ... **وكانت المحبة هى آخر وصية أوصى بها تلاميذه** قبل أن يمضى إلى الجلجثة « وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٤) . **واظهاراً لهذه المحبة شبهنا بعروس له ، وجعلنا جسده وهو رأس هذا الجسد . كما شبه المؤمنين بالاعضاء وهو بالكرمة** (يوحنا ١٥ : ٥) ... لذا فقد قال « اثبتوا فىَّ وانا فيكم » (يوحنا ١٥ : ٤) . و يفسر المسيح الثبات فيه بأنه ثبات فى محبته « اثبتوا فى محبتى » (يوحنا ١٥ : ٩) ... و يكشف لنا أن محبته لنا من نوع محبة الآب له « كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا » (يوحنا ١٥ : ٩) .

محبة المسيح للخطاة :

كان معلمو اليهود - فى نزعتهم الريائية - يتعالون و يترفعون عمن اعتبروهم خطاة وأشراراً (أنظر مثل الفريسى والعشار - لوقا ١٨ : ٩-١٣) ... ونتج عن ذلك انقسام المجتمع اليهودى إلى فئتين من ناحية التديّن : فئة الواثقين من أنفسهم بحسب تعبير المسيح ، وفئة المعتبرين أنهم أشرار وخطاة ... وهؤلاء لا يتعاملون مع أولئك ...

جاء المسيح له المجد واعلن صراحة محبته لهؤلاء المعتبرين خطاة ، مشبهاً إياهم بالمرضى ، أما هو فالطبيب الذى يحتاجون إليه «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» (متى ٩ : ١٢) ... «لأنى لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (متى ٩ : ١٣) . **وقد أوضح المسيح محبته للخطاة والأشرار من خلال عدة أمثلة ،** كأمثلة الخروف الضال والدرهم المفقود والابن الضال (لوقا ١٥) ... وإذ كان المفهوم اليهودى للقريب هو المفهوم القومى ، وانه هو اليهودى وحده من نسل إبراهيم دون سواه من أى جنس آخر ، أوضح لهم بمثل السامرى الصالح أن القريب هو الإنسان الذى يصنع الرحمة (لوقا ١٠ : ٢٥-٣٧) .

وأكدّ المسيح تعليمه الخاص بمحبة الخطاة بلقاءات مع المعتبرين خطاة وأشراراً مظهراً لهم حدبه وعطفه ومحبته ، ودخل بيوتهم . التقى مع السامرية وهى إمرأة خاطئة ... وقد كان هذا اللقاء مثيراً حتى لتلاميذه لكونها إمرأة وخاطئة وسامرية . والسامريون فى عداء تقليدى مع اليهود (يوحنا ٤) ... والتقى مع إمرأة أخرى خاطئة فى بيت رجل فريسى يدعى

سمعان ... وقد تميّز هذا اللقاء بتوبة عجيبة حيث غسلت تلك المرأة قدمى المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ، وكانت تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، الأمر الذى جعل ذلك الفريسى يتقمقم (لوقا ٧ : ٣٦- ٥٠) .

لقد أحسن المسيح إلى الجميع مدفوعاً بمحبته الكاملة والعجيبة ... و يلخص متى الإنجيلى أعمال محبة المسيح فيما سجله « كان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم فى مجامعها ، و يكرز ببشارة الملكوت ، و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها . حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير، ولكن الفعلة قليلون ، فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » (متى ٩ : ٣٥- ٣٨) .

كان هذا هو تعليم المسيح الشفاهى ومواقفه إزاء لنوعيات المختلفة من الناس ، فماذا كان موقفه فوق الصليب إزاء المحبة - وبالأخص محبة الأعداء ؟

كثيرون يعلمون ويملأون الدنيا كلاماً وتعليماً ... لكن سرعان ما يتبدد تعليمهم فى أوقات المحن والشدائد ... وعلى نحو ما أن النار تكشف عن اصالة المعدن . هكذا الشدائد بالنسبة لتعليم المعلمين ... **لم يحدث أن المسيح قدّم للناس تعليماً بقصد الاستحسان** أو للاستهلاك المحلى كما يقولون . بل لقد علّم ضمن ما علّم أن حرفاً واحد من كلامه لا يسقط ...

ماذا فعل المسيح بأولئك الذين امتلأت قلوبهم حقداً وكراهية وبغضة ، واتخذوا منه مواقف واضحة وصعبة ؟ لقد قابل حقدهم

وكراهيتهم **بالمحبة ...** لقد احبهم إلى المنتهى (يوحنا ١٣ : ١) ... يسوع وهو عالم بكل شيء ، وعالم بالخفايا ، وما تضمره القلوب ... وعارف بموقف الكهنة ورؤسائهم والكتبة والفريسيين ومكرهم ... لكنه أحبهم وأوصى الناس بأن يحبونهم ... **إن صفة من صفات المحبة السليمة الأصيلة انها لا تسقط أبداً** (كورنثوس الأولى ١٣ : ٨) .. **حتى فى احلك الظروف وأصعب المواقف ، ما تخلى المسيح عن المبدأ ، وما علّم به ...** فلم يقبل أن تلميذاً كبطرس فى دفاع اهوج يضرب بسيفه عبد رئيس الكهنة ويقطع اذنه . لقد وبخه وقدم له تعليماً هادئاً ، وأبرأ تلك الأذن التى قطعت ... رغم أن هذا العبد كان ضمن الذين خرجوا ليقبضوا عليه (متى ٢٦ : ٥١ ـ ٥٤ ؛ لوقا ٢٢ : ٥١ ؛ يوحنا ١٨ : ١٠ ، ١١) .

المسيح يطلب الصفح عن صالبيه :

كانت الكلمة الأولى التى فاه بها المسيح على الصليب « **يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون** » (لوقا ٢٣ : ٣٤) ... **عمن كان المسيح يطلب ؟** ... كان يطلب من أجل كل المسئولين عن آلامه وصلبه : كان يطلب من أجل أعضاء مجلس السنهدرين وهو المجلس الأعلى لليهود الذى حكم بإدانته ـ كان يطلب من أجل الجموع المخدوعة التى طالبت بصلبه « أصلبه أصلبه » ، من أجل عامة اليهود الذين بتحريض الكهنة ورؤسائهم تقدموا إلى بيلاطس الوالى الرومانى بشكاية ضد يسوع لأنه يفسد الأمة ، ويمنع دفع الجزية لقيصر ، ويدعى أنه ملك اليهود (لوقا ٢٣ : ١ ، ٢) . كان يطلب من أجل بيلاطس وهيرودس ـ من أجل الذين استهزأوا به وهو معلق على الصليب (مرقس ١٥ : ٣١ ، ٣٢) .

ما هذا يا إلهى ... ما أكثر فيض حبك ، وما أكثر اتساع قلبك ... **لقد وقف الكاتب الفرنسى الملحد ارنست رنيان (١٨٢٣ـ ١٨٩٢) أمام صفحك وحبك مبهوراً وقال [إن لم يكن المسيح إلهاً ، فليكن إلهاً عند الصليب ، لأنه طلب من أجل صالبيه] !!...** وصدق أحد الحكماء حينما قال **[إن مقابلة الخير بالشر عمل شيطانى . ومقابلة الشر بالشر عمل حيوانى . ومقابلة الخير بالخير عمل إنسانى . أما مقابلة الشر بالخير فعمل إلهى] ...** إن الصليب فى طبيعته يحوى أقوى درجات الحب وأعمقها : حب للصالبين ـ حب للماكرين ـ حب للخطاة ـ حب للمنتهى ـ حب باذل بلا مقابل ... الصليب هزيمة للحقد والكراهية ... الصليب علامة ورمز للحب فاينما وُجد الصليب وجدت المحبة ، لأنه هو علامة الحب الذى غلب الموت وقهر الهاوية واستهان بالخزى والعار والألم .

لقد أكدّ المسيح وهو على الصليب القاعدة الذهبية التى علّم بها عن المحبة « كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم » (متى ٧ : ١٢) ... **وسارت كنيسته وفق تعليمه ، وكان هذا سر قوتها ...** ويوم تخرج الكنيسة عن مسار الحب للجميع بلا ادنى تفريق ـ إنما تخرج عن منهج ومسار معلمها ، وتتوقف عن أن تكون كنيسة المسيح ... وكنيسة الرسل ـ رسل المسيح ـ سارت على نفس المنهج التعليمى الخاص بالمحبة ـ ومحبة الأعداء بوجه خاص ...

قال بولس الرسول **« لا تجازوا أحداً عن شر بشر ... إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء ...** لأنه مكتوب لى النقمة أنا أجازى يقول الرب . **فإن جاع**

عدوك فاطعمه، وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رومية ١٢ : ١٧-٢١)... و يقول بطرس الرسول «كونوا جميعاً متحدى الرأى بحسٍّ واحد، ذوى محبة اخوية مشفقين لطفاء. **غير مجازين عن شر بشر أو عن شتيمة بشتيمة بل بالعكس مباركين. عالمين أنكم لهذا دعيتم لكى ترثوا بركة**» (بطرس الأولى ٣ : ٨)... و يقول يوحنا الرسول سائراً فى نفس المنهج «**يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق**» (يوحنا الأولى ٣ : ١٨).

لقد أعطى المسيح الطوبى للمعيّرين والمطرودين من أجل البر، فساروا على دربه فى الحب دون تذمر... «طوبى للمطرودين من أجل البرّ لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» (متى ٥ : ١٠- ١٢)... **هذه التطويبة هى آخر التطويبات فى العظة على الجبل، لكنها أعظمها. انها تطويبة الذين يتبعون المسيح طوال الطريق إلى النهاية، من جثسيمانى إلى الجلجثة...**

ثانياً - الاتضاع والطاعة :

يأتى بعد وصية المحبة فى تعليم المسيح، تعليمه عن الاتضاع أو إنكار الذات... من المسلّم به بين علماء الكتاب المقدس أن خطية الكبرياء هى السبب فى طرد الإنسان الأول من الفردوس حينما أراد أن يصير كالله...

وأتى المسيح ليعالج هذه السقطة « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فيلبى ٢ : ٧) ... **بالنسبة للقديس بولس الرسول كان الصليب أقصى درجات اتضاع المسيح** « وإذ وجد فى الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى **الموت موت الصليب** » (فيلبى ٢ : ٨) .

وإن كان المسيح له المجد قد أتى ليرد الإنسان إلى صورته الأ ولى ، فقد علمنا بشخصه الا تضاع وإنكار الذات سواء بمثال حياته أو أعماله وتعاليمه « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب » (متى ١١ : ٢٩) ... إن الرسول بولس يدعو فكر الا تضاع أنه فكر المسيح « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً . الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله . لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فيلبى ٢ : ٥ - ٧) .

للأسف فإن العالم بعلمائه وفلاسفته العظام لم يعرفوا الا تضاع ... روى عن الفيلسوف **أفلاطون** أنه صنع وليمة دعا إليها بعض الفلاسفة ممن عرف عنهم الزهد فى مباهج الدنيا كنوع من فلسفة الحياة . وكان ضمن المدعوين فيلسوف يدعى **ديوجنيس** ... وكان أفلاطون قد زين داره بالبسط والمفارش الثمينة . فدخل ديوجنيس بحذاء قذر وثياب رثة ، وأخذ يدوس تلك البسط والمفارش . فلما سأله افلاطون عما يفعله ، أجابه [إنى ادوس كبرياء افلاضون وتشامخه] . فلما سمع افلاطون هذه الاجابة ، قال [نعم أنت تدوس تشامخ أفلاطون . لكنك تدوسه بتشامخ آخر] .

والا تضاع هو الثوب الجميل العجيب الذى ارتداه رب المجد

وأظهر لنا ذاته فيه. فما كان ممكناً للترابيين أن يعاينوا إله الآلهة ورب الأرباب فى بهاء مجد لاهوته إلاّ فى ثوب الاتضاع وانكار الذات... يقول القديس اغسطينوس إن ابن الله تجسّد ليصالح البشر مع الله وليشفى قلب الإنسان من داء الكبرياء. فحقق الغاية الأولى بموته، والثانية باتضاعه... إن حياة السيد المسيح من مذود بيت لحم إلى الجلجثة سلسلة متصلة الحلقات، تظهره لنا فى صور متعددة للاتضاع وانكار الذات، كما يقول القديس باسيليوس الكبير... هذا ما نراه فى ولادته من أم فقيرة ومكان حقير، وفى هروبه من وجه هيرودس الطاغية كإنسان ضعيف، وفى خضوعه لأمه و يوسف (لوقا ٢ : ٥١)، وفى تقدمه ليوحنا المعمدان ليعتمد منه كأحد الخطاة. وفى عيشة الفقر الاختيارى التى عاشها، وفى خضوعه للناموس. وفى الاهانات الكثيرة التى تحملّها، وفى غسله لأرجل تلاميذه... لقد افتتح عظته على الجبل بذكر المسكنة الروحية وتطويب المساكين بالروح... وعاش ليس له أين يسند رأسه، بينما للثعالب اوجره ولطيور السماء اوكار (متى ٨ : ٢٠).

لكن قمة الاتضاع كانت فى قبوله الموت صلباً بإرادته واحتماله الاهانات والمحقرات وآلام اللطم والجلد من أيدى خليقته وجبلته وصنعة يديه... وهكذا رآه داود بروح النبوة «عار عند البشر ومحتقر الشعب» (مزمور ٢٢ : ٦)... قبض عليه وهو مستسلم لم يدافع عن نفسه، أو يسمح لأحد أن يدافع عنه. ووقف صامتاً أمام من حاكموه وادانوه لا يفتح فاه «كشاة تساق إلى الذبح وكخروف صامت أمام الذى يجزه هكذا لم يفتح فاه... وكل ما قاله لرؤساء الكهنة والشيوخ وقواد جند

الهيكل عندما خرجوا للقبض عليه «**هذه ساعتكم وسلطان الظلمة**» (لوقا ٢٢ : ٥٣).

ثالثاً - الوفـــاء :

الوفاء فضيلة عجيبة نتعلمها من المسيح سواء فى حياته أو وهو معلّق على الصليب ... فى تعليمه قال «**لأن من سقاكم كأس ماء باسمى لأنكم للمسيح ، فالحق أقول لكم إنه لا يُضيع أجره**» (مرقس ٩ : ٤١) ... بعد شفاء العشرة البرّص ، ولم يَعُد منهم إلاّ واحد سامرى الجنس ، تساءل المسيح فى تعجب «أليس العشرة قد طهروا ، فأين التسعة ؛ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس» (لوقا ١٧ : ١١-١٨) ... هذا ، وبحسب رأى القديس جيروم أنه **كان مقرر عند اليهود بتقليد ابدى قديم أن سبب مرض حزقيا ملك يهوذا الذى به أشرف على الموت أنه لم يقدم الشكر لله بعد انتصاره المعجزى الذى انعم به الله عليه ، حينما ضرب ملاك الرب من جيش آشور فى ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألفاً** (ملوك الثانى ١٩ : ٣٥ ؛ ٢٠ : ١-٣).

والسيد المسيح وهو على الصليب لم ينسَ أمه العذراء مريم ، ولم ينسَ تلميذه الذى كان يحبه يوحنا ، فقال لأمه «يا إمرأة هوذا ابنك» . وقال لتلميذه «هوذا أمك» (يوحنا ١٩ : ٢٦ ، ٢٧) ... وقد عاشت العذراء فى كنف يوحنا بأورشليم حتى نياحتها ... وظل يوحنا فى خدمته محصوراً فى منطقة أورشليم ، ولم ينطلق إلى أقاليم آسيا الصغرى إلاّ بعد نياحتها ...

وفى أشد الظروف صعوبة ، كان المسيح على الصليب وفياً للص
اليمين الذى لام زميله اللص الآخر الذى كان يجدّف على المسيح وانتهر
قائلاً « أولا أنت تخاف الله ... أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق فعلنا
وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله . ثم قال ليسوع اذكرنى يارب متى
جئت فى ملكوتك » . فكان جواب الرب عليه مكافأة له على شهادته
ومشاعره « الحق أقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لوقا ٢٣ :
٣٩ - ٤٣) ...

وكصدى لتعليم المسيح نرى الحب والوفاء فى شخصية كمريم المجدلية التى أخرج الرب يسوع منها سبعة شياطين (مرقس ١٦ : ٩) . لازمت المسيح إلى الصليب بينما تركه جميع تلاميذه باستثناء يوحنا . وكانت الأولى التى ذهبت إلى القبر والظلام باقٍ فجر يوم القيامة ، ولما رأته ظنته البستانى ، وقالت له فى لهفة « يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه » ... وقالت لبطرس و يوحنا « أخذوا السيّد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه » (يوحنا ٢٠ : ١٥ ، ٢) ... كما نرى الوفاء أيضاً وقد انطبع على كل من يوسف الرامى ونيقوديموس . فالأول استأذن بيلاطس وأخذ جسد الرب يسوع ، والثانى كفّنه بأكفان مع أطياب تليق بالرب » (يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٠) .

رابعاً - الاحتمال والصبر :

ما أقسى الآلام النفسية التى احتملها الرب يسوع بسبب خطايا البشر ، وما أشد الآلام الجسدية التى احتملها فى جسده من أجل خلاصنا على

الصليب ... لكن ذلك كله احتمله فى فرح وطول روح وصبر من أجل عظم محبته للبشر... و يقول بولس عن المسيح انه «من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله . فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلّوا وتخوروا فى نفوسكم » (عبرانيين ١٢ : ٢) ... هكذا علم المسيح نفسه « **الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص** » (متى ١٠ : ٢٢) ... « **بصبركم اقتنوا أنفسكم** » (لوقا ٢١ : ١٩) .

ما أكثر الآلام وما أشد المعاناة التى احتملها ابن الله من أجل فداء البشر... لعل نبوات الأنبياء توضح طرفاً منها :

يقول داود النبى فى المزمور متنبئاً « قد شبعت من المصائب نفسى وحياتى إلى الهاوية دنت . حُسِبت مثل المنحدرين إلى الجب . صرت كرجلٍ لا قوة له . بين الأموات فراشي ... وضعتنى فى الجب الأسفل ، فى ظلمات فى أعماق . علىَّ استقر غضبك ، وبكل تياراتك ذلَّلتنى ، ابعدتَ عنى معارفى . جعلتنى رجساً لهم . أُغلق علىَّ فما اخرج . عَيْنى ذابت من الذل . دعوتك يارب كل يوم . بسطتُ إليك يدىَّ » (مزمور ٨٨ : ٣ - ٩) .

يقول أرميا النبى فى مراثيه بروح النبوة « أما إليكم يا جميع عابرى الطريق . تطلعوا وانظروا . إن كان حزن مثل حزنى الذى صُنع بى . الذى اذلنى به الرب يوم حمو غضبه » (مراثى ١ : ١٢) ... **و يقول إشعياء النبى** « من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة » (إشعياء ١ : ٦) ...

إن خطايا البشر التى كان المسيح عتيداً أن يموت عنها و بسببها احتمل

الآلام النفسية والجسدية المروّعة، كانت أمامه منذ الحبل به إلى وقت موته على الصليب، كما يقول داود «**وجعى مقابلى دائماً**» (مزمور ٣٨ : ١٧) ... لقد احتمل ابن الله ما احتمل من آلام من أجل محبته للبشر بلا تذمر أو دمدمة، بل باختياره وحده عُلّق على الصليب الذى من أجله أتى إلى العالم ... لقد صبر المسيح على مكابدة الآلام حتى أن القديس بولس يقول لأهل تسالونيكى «والرب يهدى قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح» (تسالونيكى الثانية ٣ : ٥) ... وحينما كتب يوحنا رؤياه بدأها بقوله «أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة، وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره» (رؤيا ١ : ٩).

إن خلقة العالم لم تكلف الله أتعاباً أو آلاماً ... فقد خلق العالم بكلمة، لأنه كان يقول للشىء كن فيكون. أما تخليص العالم وفدائه، فقد كلف ابن الله أن ينزل إلى عالمنا، ويحتمل ما احتمل من هزء واهانات وشدائد ومحقرات. لذا **يقول القديس امبروسيوس مناجياً الله [إنى مديون لك يا سيدى لأجل الإهانات التى بها افتديتنى أكثر مما انا مديون لقدرتك التى بها خلقتنى].**

خامساً - التمسـك بالمـبدأ :

لم يشهد العالم منذ نشأته إنساناً مقتدراً فى كل شىء مثل الرب يسوع المسيح ... مقتدراً فى التعليم وصنع المعجزات الخارقة بكلمة من فيه. يشفى الأمراض ويقيم الموتى بكلمة ... كان له نعمة لدى جميع الشعب. أحاطت به الجموع وتعلقت بمحبته. **فقد توفرت له وفيهِ كل مؤهلات الزعامة على كافة المستويات ... لكنه عاش بمبدأ للمبدأ ذاته ...**

كان فى امكانه أن يهادن الكهنة ورؤساءهم والكتبة والفريسيين وطوائف اليهود المختلفة ... لكنه إذ أعلن عن ذاته أنه هو الطريق والحق والحياة ، فقد تمسك بالحق من أجل الحق ذاته ، فكيف يتخلى عن الحق ... **إنه حينما يتخلى عن الحق إنما يتخلى عن ذاته ...**

لقد تمسك بالمبدأ إلى النهاية ، وقد أوصله ذلك إلى الصليب ... كان هدفه هو المبدأ ونشره فى العالم كله ، ولولاقى الموت فى سبيل ذلك ... قال معلماً **« الحق الحق أقول لكم ، إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتَمُتْ فهى تبقى وحدها . ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير. من يُحب نفسه يُهلكها . ومن يُبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى الحياة أبدية »** (يوحنا ١٢ : ٢٤ ، ٢٥) ..

مُعلّق المسيح على الصليب مثالاً لكل من يتمسك بالمبدأ السليم ، مهما كلفه الأمر، ولو أدى ذلك إلى الموت ... وكم من شهداء ومعترفين فضلوا أن يجودوا بأرواحهم و يبذلوا دماءهم عن أن يفرّطوا فى المبدأ الذى اعتنقوه وآمنوا به ... لقد عُرضت عليهم ـ فى محاولات للغواية والاغراء ـ ما يسيل له لعاب كثيرين . لكنهم أبوا حاسبين عار المسيح ـ أى الصليب ـ غنى أفضل من كل شيء (عبرانيين ١١ : ٢٦) .

إن الصليب اعلان وشهادة على قوة المبدأ ، الذى يتمسك به صاحبه ، ولو أدى الأمر إلى الصليب ... لقد تكتلت قوى العالم وقتذاك ضد المسيح ، وهددوه بالصليب ، لكنه حمله بقوة ، ولم يتنازل عن مبدأ واحد من مبادئه ... والحق أن الصليب كان برهاناً على ضعفهم وفشلهم ... من

الممكن أن إنساناً تتوفر له القدرة والسلطان أن ينتقم من إنسان آخر و يقتله آخر لا يملك القوة والقدرة. لكنه - حتى لو استطاع ذلك - فإنه لن يستطيع أن يقتل المبدأ الذى يحمله ذلك الإنسان الآخر و ينادى به و يدافع عنه.

سادساً - السماء والمظلوم :

نقرأ فى سفر التكوين عن أحوال العالم قبيل الطوفان «وفسدت الأرض أمام الله. **وامتلأت الأرض ظلماً**» (تكوين ٦ : ١١)... و يقول سليمان فى الجامعة «**وأيضاً رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم، وموضع العدل هناك الجور... ثم رجعت ورأيت كل المظالم التى تُجرىَ تحت الشمس، فهوذا دموع المظلومين ولا مُعزٍّ لهم ومن يد ظالميهم قَهْر. أما هم فلا معزٍّ لهم**» (جامعة ٣ : ١٦ ؛ ٤ : ١)... و يشير بطرس الرسول إلى يهوذا الخائن الذى باع معلمه «إن هذا اقتنى حقلاً من **أجرة الظلم**. وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها» (أعمال الرسل ١ : ١٨)... كما قال لسيمون الساحر الذى أراد أن ينال درجة الكهنوت المقدس بالمال «فتُب من شرك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يُغْفَر لك فكر قلبك. **لأنى اراك فى مرارة المرّ، ورباط الظلم**» (أعمال الرسل ٨ : ٢٢، ٢٣).

هذا الظلم الذى ملأ الأرض شمل المسيح أيضاً ... هكذا رآه إشعياء النبى «ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه» (إشعياء ٥٣ : ٧)... هذا ما حدث على الصليب... **لكن هل تصمت السماء إزاء مظالم البشر بعضهم لبعض ؟**

لن تصمت السماء ... لقد حدث وقت أن تقدم المسيح ليعتمد من يوحنا المعمدان كواحد من الخطاة، أن اعلنت السماء شهادتها عن المسيح أنه ابن الله «**هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت**». وشوهد الروح القدس بهيئة جسمية كحمامة آتياً ومستقراً عليه (متى ٣ : ١٣ - ١٧) ... **نفس الأمر حدث وقت الصليب. فلقد صارت ظلمة على الأرض والمسيح معلق على الصليب من الساعة السادسة حتى التاسعة - أى من وقت الظهيرة حتى الثالثة بعد الظهر بتقويمنا (متى ٢٧ : ٤٥). وكان ذلك اعلان عن غضب السماء ...** كذلك «حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت. وقام كثير من أجساد القديسيين الراقدين. وخرجوا من القبور، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧ : ٥١ - ٥٣). **هذه الظواهر الطبيعية غير المعتادة دعت قائد المائة ومَنْ معه من الجند الذين كانوا يحرسون يسوع المصلوب، إلى الخوف بشدة، وقدموا شهادة رغماً عنهم « حقاً كان هذا ابن الله »** (متى ٢٧ : ٥٤).

ولو وقف العالم كله ضد إنسان برىء، فلا بد وأن السماء فى الوقت المناسب تُظهر براءته ... لقد اختبر داود النبى والملك هذه الحقيقة وعبّر عنها بقوله «لا تَغَرْ من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم. فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطَعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب وافعل الخير. اسكُنْ الأرض وارعَ الأمانة، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلِّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجزى. **ويُخرِج مثل النور برّك، وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له. ولا تَغَرْ من الذى**

يَنجح فى طريقه. من الرجل المُجْرى مكايد... لأن عاملى الشر يُقطَعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير. **تَطَلّع فى مكانه فلا يكون.** أما الودعاء فيرثون الأرض، و يتلذذون فى كثرة السلامة» (مزمور ٣٧ : ١ - ١١).

+ + +

هكذا غدا المسيح له المجد وهو معلّق فوق الصليب معلماً، ومؤكداً ومثبتاً للفضائل التى علّم بها، ونادى بها وسط الجموع... **لكن ماذا كان يهدف المسيح إلى تأكيد مثل هذه المعانى من فوق الصليب، وماذا نستفيد نحن؟ هل كان المسيح يقصد إلى مجرد التأكيد والتثبيت، أم إلى شيء آخر... وماذا نستفيد نحن من استعراض مثل هذه المواقف؟ هل مجرد الاستحسان، أو اضافة جديد إلى معلوماتنا؟**

لقد أتى السيد المسيح ليعطى البشر حياة، وحياة أفضل من حياتهم التى يحيونها «وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة. وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠ : ١٠)... لكن كيف يعطينا المسيح هذه الحياة الأفضل، أو كيف نقتنيها نحن...

هذا الموضوع يتطلب شقيّن : الشق الأول شق الإيمان بابن الله المخلص. والشقّ الثانى هو تجديد الحياة أو التوبة. وهذا ما نهدف إليه الآن، باعتبار أن كلامنا موجه لمؤمنين مسيحيين، يشتاقون إلى تجديد حياتهم مع الله...

التـــــوبة :

هذه الحياة الأفضل التى أتى المسيح ليعطيها لكل واحد من المؤمنين به ، **تتطلب توبة ...** لكن ما الذى يحركنا إلى التوبة و يدفعنا إليها ... **لعل من أفضل الوسائط إلى ذلك، التأمل فى المسيح المصلوب من أجلنا ...** هذا الموضوع متسع جداً . لكننا سنحاول بقدر ما تسمح الفرصة ، أن نُلّم بـــه ...

يهتف القديس أغسطينوس من قلب مضطرم بالغيرة والحب [مَنْ لا يخدمك يا سيدى من أجل نعمة ايجادك له يستحق جهنماً . **ومَنْ لا يخدمك من أجل نعمة تخليصك له يستحق جهنماً أخرى أمرّ وأشد من تلك**] ... يجمع الآباء الروحيون على أن **التأمل فى المسيح المصلوب وآلامه هو من انجح الأدوية للتخلص من خطايانا ، ومن أفضل الوسائط لنحيا حياة التوبة ...** ونضع أمامنا بعض نقاط للتأمل ، لعلها تساعدنا على ذلك :

أ ـ المسيح المعرّى من الثياب :

يقول الإنجيل المقدس « فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة . فعرّوه وألبسوه رداء قرمزياً » (متى ٢٧ : ٢٧ ، ٢٨) ...

بعد أن أخطأ الإنسان الأ ول أحسّ أنه عريان ... هذه التعرية ، تعرية من النعمة وليس من اللباس ... هكذا يرتبط العرى بالخطية منذ البداية ... وفى مثل الابن الضال ، نرى ذلك الابن يعود إلى أبيه عرياناً

حافى القدمين . وأمر أبوه غلمانه أن يلبسوه الحلة الأولى ، ويجعلوا حذاءً فى رجليه ... إن كل ذلك تصوير لحالة البعد عن الله ، وماذا يفعل ...

ولما رأى الرب أن آدم - فى نسله - مازال عرياناً ، أرسل ابنه - آدم الثانى ... وتعرّى ابن الله - آدم الثانى - بإرادته ليكسو عرى آدم الأول وكل ذريته ... لقد وجدنى ابن الله عرياناً من الاتضاع فكسانى بتواضعه ... ووجدنى عرياناً من المحبة فكسانى بحبه ... ووجدنى عرياناً من الاتكال على الله فكسانى باتمام مشيئة الآب ... ووجدنى عرياناً من طاعة الله ، فكسانى بطاعته للآب حتى الموت ... ووجدنى عرياناً من الطهارة فكسانى بثوب العفة ... **ولعل هذا ما تنبأ عنه إشعياء النبى «فرحاً أفرح بالرب . تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص . كسانى رداء البرّ»** (إشعياء ٦١ : ١٠) .

إن أولئك الذين عرّوا المسيح وهم يصلبوه ، إنما كانوا يريدون - دون أن يدروا - أن يظل آدم عرياناً من كل نعمة وفضيلة ... جاء إليهم المسيح ليستر عريهم و يُغطّى خزيهم ، لكنهم أبوا إلاَّ أن يظلوا عرايا من النعمة ... فى سفر الرؤيا يوجه المسيح كلامه إلى ملاك (خادم) كنيسة لادوكيا قائلاً «أنا مزمع أن أتقيأك من فمى ، لأنك تقول أنى أنا غنى وقد أستغنيت ولا حاجة لى إلى شىء . **ولست تعلم أنك أنت الشقى والبئس وفقير وأعمى وعريان . اشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفى بالنار لكى تستغنى . وثياباً بيضاً لكى تلبس ، فلا يظهر خزى عريتك»** (رؤيا ٣ : ١٤-١٨) ...

المسيح من أجلك تعرّى لكى يكسوك بالنعمة و يستر عليك ... وها نحن فى كل يوم، بل فى كل صلاة شكر، نشكره، «لأنه سترنا» ... **لقد تعرّى الإنسان الأول وكل ذريته، فبماذا يكتسون؟...**

يجيب بولس الرسول على هذا السؤال فيقول ... **« انها الآن ساعة لنستيقظ** من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار، **فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور.** لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعَهَرْ، لا بالخصام والحسد. **بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات »** (رومية ١٣ : ١١ - ١٤).

حين تتأمل المسيح المصلوب عرياناً، اذكر أنك أنت سبب عريه ... واذكر جيداً أنك لا تَنْسَتِر إلاَّ به هو دون سواه ... واذكر أيضاً أنك فى كل مرة تخطىء أنك تعرى المسيح ...

واوجه كلمة لبناتنا وسيداتنا ... ليذكرن جيداً انهن هيكل الله، وأن أعضاءهن هى أعضاء المسيح «ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ... أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله. وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله» (كورنثوس الأولى ٦ : ١٥، ١٩) ... **ليذكر بناتنا أن فى كل مرة يعرّين أجسادهن أو أعضاءهن بالثياب الخليعة، أنما يعرّين المسيح كما فعل صالبوه... وليذكرن جيداً أن المسيح أتى ليكسو عريهن ...**

ب ـ المسيح المكلل بالأشواك :

الشوك رمز اللعنة بسبب خطية الإنسان «**ملعونة الأرض بسببك... شوكاً وحسكاً تنبت لك**» (تكوين ٣ : ١٧ ، ١٨)... وجاء المسيح وصار لعنة لأجلنا (غلاطية ٣ : ١٣)... وهكذا جُعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه (كورنثوس الثانية ٥ : ٢١) ...

إن كانت الأشواك رمزاً للعنة الخطية ، فقد أتى المسيح وصُلب عنى ، ورفع عنى أشواك خطاياى ووضعها على أقدس مكان فى جسده وهو رأسه الطاهر... الإنسان كلل المسيح بالأشواك ، أما هو فكللّه بالمجد والكرامة... لقد حوّل المسيح الأشواك بموته إلى تاج مجد وكرامة للإنسان الخاطىء ...

فى كل مرة أخطىء فيها إليك أيها المسيح إلهى أغرس شوكة على جبينك الطاهر يا قدوس القديسين... لقد كشفوا عن سرّك ، وزادوا من جمالك عندما وضعوا الإكليل على رأسك... فأنت هو ملك الملوك . لقد ملكت على خشبة الصليب ... «قولوا بين الأمم أن **الرب قد ملك على خشبة**. وأيضاً ثبت المسكونة فلن تتزعزع» (مزمور ٩٦ : ١٠)... لقد ملكت أيها المسيح بالآلام فصرت ملكاً للقلوب ... أنت إكليل الشهداء وتهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا ...

جـ ـ المســيح العطشــان :

قال المسيح على الصليب «**أنا عطشان ...** فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا ، وقدموها إلى فمه . فلما أخذ يسوع الخل قال قد

أكمل . ونكسّ رأسه وأسلم الروح » (يوحنا ١٩ : ٢٨ - ٣٠) ... ماذا كان يعنى المسيح وهو على الصليب بقوله « أنا عطشان » ... هل كان عطشه للماء أم لشىء آخر ؟ **فى قصة لقاء المسيح له المجد مع المرأة السامرية قال لها نفس الكلمات تقريباً ... قال لها « أعطينى لأشرب »** ... ودار حديث طويل بين المسيح وتلك المرأة كان هدفه خلاص نفس تلك المرأة الخاطئة التى كان لها خمسة أزواج والذى كان معها فى ذلك الوقت لم يكن زوجها ... ولم تقدم له السامرية ماء ، لكن قدمت له نفسها ... لم تسكب له ماء من جرتها ، لكنها سكبت له أفكار قلبها ... إذن فالمسيح كان متعطشاً لخلاص نفسها ...

هكذا كان المسيح على الصليب عطشاناً ليس إلى الماء ، بل إلى خلاص نفوس جبلته وصنعة يديه ... انه متعطش لخلاص نفسك ودموع توبتك ... فالمسيح فى عظته على الجبل طوّب الجياع والعطاش إلى البرّ ... وهو مستعد أن يروى ظمأ نفسك « كل مَنْ يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش إلى الأ بد » (يوحنا ٤ : ٧ ، ١٤) ... « إن عطش أحد فليقبل إلىَّ و يشرب » (يوحنا ٧ : ٣٧) ... « أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً » (رؤيا ٢١ : ٦) ...

د ـ المسيح المطعون بالحـــربة :

يقول يوحنا فى سفر الرؤيا عن المسيح « **هوذا يأتى مع السحاب ، وستنظره كل عين ، والذين طعنوه و ينوح عليه جميع قبائل الأرض** » (رؤيا ١ : ٧) ... إن الذى طعن المسيح على الصليب كان جندياً واحداً

(يوحنا ١٩ : ٣٤) ... لكن يوحنا يقول « والذين طعنوه » ... لماذا ؟ لأن ذلك الجندى الذى طعن المسيح لم يكن هو الوحيد الذى طعنه ، بل هناك كثيرون طعنوه ، وكثيرون مازالوا يطعنونه ... **إن طعنة الحربة هى طعنة الخطية التى بها نطعن المسيح فى كل مرة نخطىء فيها إليه ...**

عندما مدّ الإنسان يده ليطعنك فجرّت له ينبوعاً من الماء والدم ... هكذا غلبتَ خطيتى ، وقابلت شرّ الطعنة المميتة بينبوع ماء حىّ ودم مُحيى ... يقول القديس أغسطينوس [كلمة لها مغذاها تلك التى استخدمها الإنجيلى . لم يقل ثقب جنبه بل فتحه (بحسب ترجمة أغسطينوس) ... حتى بهذا يعنى **أن باب الحياة فتُح ، ومنه فاضت أسرار الكنيسة ، التى بدونها لا يُدخل إلى الحياة ـ وأعنى بها الحياة الحقيقية . لقد سُفك ذلك الدم غفراناً للخطايا ، وسال ذلك الماء الذى يُصلح الكأس المعطية الصحة ، ويُقدم لجرن المعمودية ، كما يعطى للشراب .** لقد أعلن عن ذلك قبلاً حينما أُمر نوح أن يجعل باباً فى جانب الفلك (تكوين ٦ : ١٦) ، حتى يدخل منه الحيوانات التى رُتب ألاّ تهلك بالطوفان . وقد شُبهت الكنيسة بذلك الفلك . من أجل هذا كوّنت المرأة الأ ولى من جنب الرجل وهو نائم (تكوين ٢ : ٢٢) . وسُميت حواء (أى حياة) وأم كل حىّ (تكوين ٣ : ٢٠) ... وآدم الثانى أحنى رأسه ونام على الصليب حتى بذلك تُعمل له عروسٌ من ذاك الذى سال (فاض) من جنب النائم . ايه أيها الموت الذى يقام به الموتى للحياة من جديد] .

الصليب حياة من موت

البشرية فى حالة موت قبل المسيح .
سر التجسّد وبركات الصليب .
كيف أصبح الموت حياة :
المسيح صلب العالم لى ـ مع المسيح صُلبت ـ صلب الجسد
كيف يدوم الموت بالصليب لتدوم الحياة فى المسيح وبه .
كيف يموت المسيحى عن العالم وهو عائش فيه .
أمور تتصل بحمل الصليب وتشجعه :
الغـربة ـ التجـرد .

البشرية فى حالة موت قبل المسيح :

كان حكم الموت الذى عاقب به الله الإنسان الأول آدم وفاءً عن عصيانه « موتاً تموت » (تكوين ٢ : ١٧) . وطُرد الإنسان الأول من الجنة ، ولُعنت الأرض كلها بسببه « ملعونة الأرض بسببك ... شوكاً وحسكاً تنبت لك » (تكوين ٣ : ١٧ ، ١٨) ... **ولم يقتصر الموت على الإنسان الأول وحده ، بل تعداه إلى ذريته هذه حقيقة ثابتة أعلنها الوحى الإلهى ..** من أجل ذلك كانما « **بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت . هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع** » (رومية ٥ : ١٢) ... « **قد ملك الموت من آدم إلى موسى ، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم** » (رومية ٥ : ١٤) ... « وأنتم إذ كنتم **أمواتاً بالذنوب والخطايا** التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية » (أفسس ٢ : ١ ، ٢) ... « **ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح** » (أفسس ٢ : ٥) .

ويؤكد ربنا يسوع المسيح هذه الحقيقة ـ وهى أن البشرية كانت قبله فى حالة موت ـ **بالأمثال ... ففى مثل الابن الضال** ـ الذى يعبّر به عن محبته للخطاة والأشرار ـ يرمز بالابن الأصغر للأمم الوثنية ... وبعودة هذا الابن لأبيه ، برجوع الأمم الوثنية لمعرفة الله ... فى هذا المثل يقول الأب لعبيده « أخرجوا الحلة الأولى والبسوه ، واجعلوا خاتماً فى يده وحذاءً فى رجليه . وقدموا العجل المسمّن واذبحوه فنأكل ونفرح . **لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش** ، وكان ضالاً فوجد » ... ويقول الأب لابنه الأكبر الذى غمّه

فرح أبيه بعودة أخيه « كان ينبغى أن نفرح ونُسَرّ. **لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش** ، وكان ضالاً فوجد » (لوقا ١٥ : ٢٢ - ٣٢) .

وفى معجزة اقامة لعازر من القبر بعد أن مات لمدة أربعة أيام ، لم يقصد المسيح إلى اظهار الوهته فقط ، لكن لعازر كان رمزاً لحالة الموت التى كانت عليها البشرية . وانه من خلال الإيمان بالمسيح توهب للبشر الحياة بنعمته ... قال المسيح لمرثا أخت لعازر تأكيداً لأن أخاها سيقوم « أنا هو القيامة والحياة . **مَنْ آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل مَنْ كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأ بد** » (يوحنا ١١ : ٢٥ - ٢٧) ... و يؤكد السيد المسيح هذا المعنى حينما يقول « الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى و يؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولا يأتى إلى دينونة ، **بل قد انتقل من الموت إلى الحياة** . الحق الحق أقول لكم انه **تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون** . لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته ... لا تتعجبوا من هذا . فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ؛ فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوحنا ٥ : ٢٤ - ٢٩) .

الموت نوعان ... الموت الطبيعى وهو ما يجرى على كل البشر ... والموت الروحى وهو موت الخطية وهو ما يتكلم عنه المسيح هنا ، وانه بالإيمان به وبقوته توهب الحياة لكل من يؤمن به ... « كل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأ بد » . وطبيعى أن الرسل والتلاميذ والمؤمنين الأ وائل ماتوا . إن الكلام هنا ليس عن الموت الطبيعى بل عن

الموت الروحى ... « تأتى ساعة **وهى الآن** حين يسمع الأموات صوت ابن الله **والسامعين يحيون** ». وواضح أن السامعون أحياء بالجسد، لكنهم أموات روحياً بالخطية ...

سر التجسّد وبركات الصليب :

اشترك المؤمنون بالمسيح فى كل بركات صلبه وما قبل صلبه ... كيف كان ذلك؟... لقد تم ذلك من خلال تجسّده الطاهر، أو بعبارة أخرى من خلال الجسد الإنسانى أو طبيعتنا البشرية التى أخذها من العذراء مريم وجعلها واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير... كيف ذلك؟

لقد دُعى المسيح له المجد آدم الثانى ... « صار آدم الإنسان الأول نفساً حيّة، **وآدم الأخير روحاً محيياً** ... الإنسان الأول من الأرض ترابى. الإنسان الثانى الرب من السماء. كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً. وكما لبسنا صورة الترابى، سنلبس أيضاً صورة السماوى » (كورنثوس الأولى ١٥ : ٤٥-٤٩) ... « قد ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى **آدم الذى هو مثال الآتى** » (رومية ٥ : ١٤) ... وحينما يقول « الذى هو مثال الآتى » يقصد المسيح آدم الثانى ... **لماذا دُعى المسيح آدم الثانى؟** هناك وجه شبه بين آدم الأول والمسيح آدم الثانى .. **آدم الأول هو رأس الخليقة الأولى التى سقطت بالمعصية. وآدم الثانى (المسيح) هو رأس الخليقة الجديدة** ... أى المؤمنين بابن الله، ومن ثمّ

وُلدوا ثانية بالمعمودية المقدسة من الماء والروح «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة» (كورنثوس الثانية ٥ : ١٧).

علينا أن نفهم أن للسيد المسيح أكثر من صفة :

فهو ابن الله الذى هو واحد مع أبيه فى الجوهر ، وأحد الثالوث القدوس .

وهو ابن البشر أو ابن الإنسان أو آدم الثانى الذى أخذ جسداً بشرياً كاملاً (ناسوتاً) واتحد بطبيعتنا اتحاداً كاملاً فى سرّ التجسّد ، وذلك حتى ما يشفى الجسد الإنسانى من ضعفاته ، وينقل إلى طبيعتنا قوته الإلهية بحسب شرح القديس كيرلس الكبير عمود الدين ... وكآدم الثانى -رأس الخليقة الجديدة- ناب عن جنسنا البشرى فى ترضية الآب السماوى بالطاعة حتى الموت ، موت الصليب (فيلبى ٢ : ٨) ، مقابل آدم الأول الذى بعصيانه نفى الجنس البشرى من السماء ... وهكذا بتجسّد ابن الله صرنا متحدين معه . فكل ما كان يفعله صرنا نحن الذين نفعله به وفيه ...

فحينما صام المسيح أربعين يوماً وأربعين ليلة ، صام هو عنا ، أو صُمناَ نحن فيه ، كما تُعلّم الكنيسة فى ألحان الصوم المقدس الكبير «يسوع المسيح صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة» .. **وحينما أعتمد من يد يوحنا المعمدان فى نهر الأردن ، اعتمد باعتباره آدم الثانى -ممثلاً للجنس البشرى ، أى انه اعتمد نيابة عن البشر...** لقد عُدّ المسيح خاطئاً حينما أرسل الله «ابنه فى شبه جسد الخطية» (رومية ٨ : ٣) . كان اليهود

يعتبرون أن مَنْ يَمسّ ميتاً يتنجسّ . وهكذا فإن يسوع باتخاذه شبه جسد الخطية - وهو جَسَد البشرية - عُدّ خاطئاً ، وبحسب كلام إشعياء النبى « أحصى مع أثمة » (إشعياء ٥٣ : ١٢) ... ولذا اعتمد معمودية التوبة من يد يوحنا المعمدان ، على الرغم من أن يوحنا نفسه كما قال كان محتاجاً أن يعتمد منه ، وتمنعّ أولاً فى اتمام طقس المعمودية ليسوع (متى ٣ : ١٤) ... وإذا كان المسيح - كما قلنا - قد اعتمد باعتباره آدم الثانى ، **فإننا نكون قد اعتمدنا فيه على حدّ قول البابا أثناسيوس الرسولى ... [عندما اعتمد (يسوع) كنا نحن الذين اعتمدنا فيه ... وعندما اغتسل الرب فى الأردن كنا نحن الذين اغتسلنا فيه وبه . وعندما قبل الروح كنا نحن فيه الذين قبلنا الروح] .**

وهكذا بالنسبة لأفعال السيد المسيح الأخرى بالجسد ... **لقد اشترك المؤمنون فى بركات آلامه التى توَّجَها بالصلب ...** انهم فى شركة مع المسيح المتألم « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فيلبى ٣ : ١٠) ... **وهكذا حينما صُلب صلبنا نحن معه** « مع المسيح صُلبت » (غلاطية ٢ : ٢٠) ... لقد صُلب بجسد البشرية الذى أخذه من العذراء مريم ... **وكذلك متنا معه** « إن كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رومية ٦ : ٨ ؛ تيموثاوس الثانية ٢ : ١١) ... **وحين قام قمنا نحن معه أو أقامنا معه** « وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السمويات فى المسيح يسوع » (أفسس ٢ : ٦) .

كيف أصبح الموت حياة ؟

هناك ثلاث بركات أتمها المسيح بالصليب واشتركنا نحن فيها ... ويذكرها بولس الرسول تحت ثلاثة مفاهيم: صلب العالم، وصلب الذات، وصلب الجسد ... ونستعرض الآن كلاً منها :

١ ـ المسيح صَلب العالم لى :

يقول بولس الرسول عن صليب المسيح « الذى به قد صُلِبَ العالم لى، وأنا صُلبت للعالم » (غلاطية ٦ : ١٤) ... **فماذا يقصد بولس بلفظ العالم، وماذا يعنى بصلب العالم ؟**

أ ـ للفظ العالم فى الكتاب المقدس ثلاثة معانٍ ... العالم بالمعنى الجغرافى أى المسكونة. والعالم بمعنى البشر القاطنين فى العالم. والعالم بمعنى الشهوات الرديئة.

عن المعنى الأول يقول المسيح « **حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم**، يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها » (متى ٢٦ : ١٣) ... ويقول بولس الرسول « **لأننا لم ندخل العالم بشىء**، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشىء » (تيموثاوس الأولى ٦ : ٧) ... **وعن المعنى الثانى ـ البشر سكان المعمورة ـ** يقول المسيح « **هكذا أحب الله العالم** حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) ... « إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى **الذى ابذله من أجل حياة العالم** » (يوحنا ٦ : ٥١) ... ويقول بولس الرسول « **الله كان فى المسيح مصالحاً العالم**

لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم » (كورنثوس الثانية ٥ : ١٩) ... **وعن المعنى الثالث - الشهوات الرديئة -** يقول يوحنا الرسول « **لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته .** وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (يوحنا الأولى ٢ : ١٦ ، ١٧) . ويقول يعقوب الرسول « أما تعلمون أن **محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله** » (يعقوب ٤ : ٤) ... وبعد هذا العرض يتضح أن القديس بولس حينما قال عن صليب المسيح « الذى به قد صُلب العالم لى ، وأنا صُلبت للعالم » (غلاطية ٦ : ١٤) ، كان يقصد بالعالم شهوات العالم ...

ب - صُلب العالم لى :

كيف صَلَب المسيح العالم لى ؟ ... قلنا ان لفظ العالم فى الكتاب المقدس يأتى بمعنى شهوات العالم الرديئة . **فكيف صُلبت هذه الشهوات بالصليب ... المقصود هوتقييد الشيطان ... كيف ذلك ؟ ... لقد دُعى الشيطان رئيس هذا العالم .** قال الرب يسوع عن الشيطان « رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىَّ شىء » (يوحنا ١٤ : ٣٠) ... « الآن دينونة هذا العالم . الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً » (يوحنا ١٢ : ٣١) ... « رئيس هذا العالم قد دين » (يوحنا ١٦ : ١١) . لقد سحق المسيح الشيطان بالصليب . **وبحسب تعبير بولس الرسول فإن المسيح بالصليب « جرد الرياسات والسلاطين ، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (الصليب) »** (كولوسى ٢ : ١٥) ...

نقرأ فى سفر الرؤيا بوضوح عن تقييد الشيطان ... « ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء ومعه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده. **فقبض على التنين الحيّة القديمة الذى هو إبليس والشيطان، وقيّده الف سنة.** وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه وختم عليه، لكى لا يُضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الالف السنة. وبعد ذلك لا بد أن يُحل زماناً يسيراً » (رؤيا ٢٠ : ١ - ٣) ... **وحيث أن الشيطان هو رئيس هذا العالم الحاضر الذى وضع فى الشرير، فإن صلب العالم، يعنى - من زاوية خاصة - رئيس هذا العالم ...** إذن فالشيطان - بحسب نصّ سفر الرؤيا الصريح - مقيد حالياً ... **والسؤال الآن : هل الشيطان حقيقة مقيّد. وإذا كان الأمر كذلك فما تعليل الشرور الكثيرة المنتشرة فى العالم الآن ؟!**

كون الشيطان مقيد هذا أمر لا جدال فيه. والدور الذى يقوم به الشيطان حالياً هو الغواية والاغراء ... الشيطان ليس له سلطان على الإنسان، لكن الإنسان يخطىء حينما يستجيب لغواية إبليس. يقول بطرس الرسول للمؤمنين « اصحوا واسهروا لأن **إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو.** فقاوموه راسخين فى الإيمان » (بطرس الأولى ٥ : ٨) ... ولو كان لإبليس سلطان على الإنسان لما جال يلتمس أحداً يبتلعه ... **هو يستطيع أن يبتلع الإنسان فى حالة واحدة، حينما يُسلم نفسه بإرادته له** ولذا فنصيحة الرسول بطرس للمؤمنين « قاوموه راسخين فى الإيمان » ... **يقول القديس أغسطينوس** عنه قال الرب للحية بعد خطيئة آدم : على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. **ما معنى تراباً تأكلين ؟ الإنسان تراب. وقوله للحية (الشيطان) تراباً تأكلين،**

أى تأكلين الإنسان. فإذا أردت ألاّ تأكلك الحية (الشيطان) فلا تكن تراباً. أى لا تحيا حسب الجسد ...

إذاً فالأمر بيد الإنسان وليس بيد الشيطان ... لذا يقول بطرس الرسول فى نفس الرسالة « من يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير» (بطرس الأولى ٣ : ١٣). **والمعنى واضح أنه ليس فى استطاعة أحد أو سلطانه أن يؤذى الإنسان.** ولذا يقول يعقوب الرسول «**قاوموا إبليس فيهرب منكم**» (يعقوب ٤ : ٧) ... **وإن كان إبليس يهرب، فليس هذا مسلك من له سلطان !! يقول بولس الرسول لأهل رومية «أريد أن تكونوا حكماء للخير** وبسطاء للشر. وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً » (رومية ١٦ : ٢٠) ..

قال الرب يسوع لسمعان بطرس « **سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة.** ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » (لوقا ٢٢ : ٣١، ٣٢) ... كانت كلمات المسيح هذه لتلميذه بطرس قبيل دخوله فى مرحلة آلامه الاخيرة. انها تكشف بكل جلاء ووضوح أن الشيطان ليس له سلطان أن يفعل ما يريد بالبشر. لقد طلب أن يغربل الرسل كالحنطة، أى يهز إيمانهم ... وكلمة « طلب » توضح أنه يطلب سماحاً من الله بما يجرب به الإنسان ... **إن الشيطان يشتكى على أولاد الله ولذا دُعى المشتكى.** ولذا فقد سجل القديس يوحنا هذا الأمر فى سفر الرؤيا « وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً فى السماء الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه، **لأنه قد طرح المشتكى على اخوتنا، الذى كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً** » (رؤيا ١٢ : ١٠).

وسفر أيوب يوضح هذا الأمر بغاية الوضوح ، وهو أن الشيطان يجرب الإنسان فى الحدود التى يسمح بها الله ، ولا سلطان له على أكثر من ذلك... وتروى قصة أيوب أن الشيطان مثل أمام الله ولما سُئل من أين أتى ، كان جوابه « من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها » . بعدها أخذ الشيطان يشتكى ضد أيوب و يهيج الله عليه ، وكانت النتيجة أن الله قال للشيطان « هوذا كل ما له فى يدك . وإنما إليه لا تمد يدك » ... ومرة أخرى يمثل الشيطان أمام الله و يشتكى ضد أيوب و يهيج الله عليه ، وكانت النتيجة أن الله سمح له فى هذه المرة أن يُجرّ به فى جسده دون نفسه « ها هو فى يدك ولكن احفظ نفسه » (أيوب ١ : ٧ - ١٢ ؛ ٢ : ١ - ٦) .

جـ - الموت عن العالم والعالميات :

يقول القديس **يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية** فى تعليقه على قول بولس الرسول « الذى به صُلب العالم لى ، وأنا صُلبت للعالم » ... [ان الرسول بولس يريد القول : ان العالميات وأمور الحياة كمديح الناس والجاه والثروة وما شابهها . **هذه كلها صارت ميتة بالنسبة لى ، كما أنى صرت ميتاً بالنسبة لها .** هى لا تستطيع أن تأسرنى أو تغلبنى . **لقد ماتت .** فأنا لا اشتهيها **لأنى أنا أيضاً مت بالنسبة لها**] ... **هنا يتكلم يوحنا ذهبى الفم عن الموت عن العالم والعالميات ، فما هو؟**

يؤكد السيد المسيح فى تعليمه لتلاميذه أنهم ليسوا من العالم « لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن **لأنكم لستم من العالم** ، بل أنا أخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ :

١٩) ... وفى صلاته الوداعية قبيل آلامه يؤكد هذا المفهوم « أنا أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم **لأنهم ليسوا من العالم ، كما انى أنا .لست من العالم ..** لست أسأل أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير . **ليسوا من العالم ، كما انى أنا لست من العالم** » (يوحنا ١٧ : ١٤ ، ١٦) ... والرسول بولس يُوصى المؤمنين «**لا تشاكلوا هذا الدهر**» (رومية ١٢ : ٢) ، أى لا تصيروا على شاكلته .

والقديس بطرس يخاطب المؤمنين مباركاً الله لأنه « **ولدنا ثانية لرجاء حىّ ...** وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنموا به ... **وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى ، أمة مقدسة ، شعب اقتناء** لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب » (بطرس الأولى ١ : ٣ ؛ ٢ ؛ ٢ ، ٩) .

والموت نوعان : موت طبيعى لا إرادة ولا دخل للإنسان فيه « وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة » (عبرانيين ٩ : ٢٧) ، **وموت** ارادى **روحى عقلانى وهو عمل من أعمال إرادة الإنسان ...** هذا هو الموت عن العالم والعالميات ، وهو ما نود أن نتحدث عنه الآن ...

ويشيع البعض - عن جهل - أن الموت عن العالم والعالميات أمر يختص بالرهبنة والرهبان حيث أن الرهبان حينما **ينخرطون فى طغمة** الرهبنة يتمم معهم طقس الصلاة عن الموتى أو الراقدين ... **وهم لا يعلمون أن هذا الموت الإرادى عن العالم والعالميات فضيلة عامة مطالب بها جميع المسيحيين بلا أدنى تفريق ... هذا ما يشير إليه القديس بولس**

الرسول فى قوله « صُلب العالم لى ، وأنا صُلبت للعالم » . وما جاء بتفسير ذهبى الفم لكلام هذا الرسول العظيم الذى حلّق فى سماء الروح .

إن تعبير « الموت عن العالم والعالميات » ، هو أقوى تعبير عن انفصال المؤمن بقلبه وفكره ووجدانه وعواطفه عن محبة العالم وشهواته ... هذا ما يعلّم به الإنجيل المقدس ... فالرسول يعقوب يقول « أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محباً للعالم ، فقد صار عدواً لله » (يعقوب ٤ : ٤) ... والمسيحية تعلّم أن العالم قد وضع فى الشرير ... « نعلم أننا نحن من الله ، والعالم كله قد وضع فى الشرير » (يوحنا الأولى ٥ : ١٩) ... والرسول بولس يقول « لأننا لم ندخل العالم بشىء ، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشىء . **فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما** » (تيموثاوس الأولى ٦ : ٧ ، ٨) ... « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله ... **فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض** الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذى هو عبادة الأوثان » (كولوسى ٣ : ٣ - ٥) ... « **من أجلك نمات كل النهار** » (رومية ٨ : ٣٦) ... **هذا هو تعليم الإنجيل المقدس منذ عصر رسل المسيح ، ولا علاقة له بالرهبنة التى بدأت تظهر فى الكنيسة المسيحية كلون من الوان الحياة النسكية أواخر القرن الثالث المسيحى ...**

وكنيستنا فى صلواتها تؤكد هذا المعنى وهذه الفضيلة . ففى صلاة الساعة التاسعة يقول المصلى « **يا مَنْ ذاق الموت بالجسد فى وقت الساعة التاسعة من أجلنا نحن الخطاة . أمِتْ حواسنا الجسمانية أيها المسيح لهنا ونجنا** » .

٢ ـ مع المسيح صُلبت :

يقول القديس بولس « مع المسيح صُلبت فأحيا ـ لا أنا ، بل المسيح يحيا فىَّ » (غلاطية ٢ : ٢٠) ... تكلمنا فى النقطة السابقة عن قول الرسول « وأنا صلبت للعالم » . وأشرنا إلى الموت عن العالم كاصطلاح روحى عند الآباء . هذا الموت عمل إرادى ، وهو يختلف عن الموت الطبيعى كما قلنا ... **لكن هناك موتاً من نوع آخر تتدخل فيه إرادة الإنسان ولا تتدخل ... هذا الموت يتم فى المعمودية المقدسة ، أو ما يُعرف باسم الميلاد الثانى ... فعقيدة المسيحية فيه انه موت مع المسيح ـ موت حقيقى ، لكن بطريقة فائقة لأنه عمل إلهى روحى بالدرجة الأولى ...**

يقول الرسول بولس « أم تجهلون أننا **كل مَنْ أعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما اقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحـ أيضاً فى جدة الحياة (الحياة الجديدة) . لأنه إن كنا قد صِرْنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته . عالمين هذا أن انساننا العتيق (حالتنا القديمة فى آدم الأول) قد صُلب معه لُيبْطَلْ جسد الخطية ، كى لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية »** (رومية ٦ : ٣ ـ ٧) .

قلنا عن هذا الموت الذى يتم فى المعمودية وبها ، أن إرادة الإنسان تتدخل فيه ، ولا تتدخل فيه : تتدخل فيه لأن الميلاد الثانى بالمعمودية المقدسة يتطلب إيماناً ، واعلان الإيمان يتطلب إرادة الإنسان ... لكن من الناحية الأخرى ، **فإن ما يتم بواسطة المعمودية ـ أى الولادة**

الثانية من بطن المعمودية المقدسة ـ هو عمل إلهى وسرّ مقدس لا دخل للإنسان ولا لإرادته فيه ... وعلى أية الحالات ، فإن النتيجة فى كلا الحالين هو الحياة مع المسيح وفيه وبه ... « فأحيا ـ لا أنا ، بل المسيح يحيا فيَّ » ... إنها حياة جديدة أو « جدة الحياة » كما يدعوها بولس ، أو « خليقة جديدة » لها صفاتها ومتطلباتها ... يقول يوحنا ذهبى الفم [مع المسيح صلبت ـ أنا لا أحيا بعد لأنى ميت ـ والمسيح هو الحىّ فيَّ] ... هذه الخليقة الجديدة أو الإنسان الجديد ، الذى ولد من بطن المعمودية ، يتجددّ يوماً فيوم « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كولوسى ٣ : ١٠) .

٣ ـ صلب الجسـد :

يقول القديس بولس الرسول « الذين هم للمسيح ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غلاطية ٥ : ٢٤) ... أولاً ، ماذا يعنى الرسول « بالذين هم للمسيح » ـ هل تعنى المسيحيين على الاطلاق ، ومنهم من هم مسيحيون اسماً أو شكلاً أو عرفاً أو بالمولد ؟ ... يقول الرسول بولس فى رسالته إلى أهل أفسس « لم يُبْغض أحد جسده قط ، بل يقوته و يربيه كما الرب أيضاً للكنيسة . لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » (أفسس ٥ : ٢٩ ، ٣٠) . إذن فالذين هم للمسيح هم أعضاء جسده « ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح » (كورنثوس الأولى ٦ : ١٥) ... أما صلب الجسد مع الأهواء والشهوات ، فالأمر واضح فيه أنه يتعلق بالجسد .

يقول الرسول بولس لأهل رومية « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته. ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات برّ لله » (رومية ٦ : ١١- ١٣)... وحينما يقول الرسول « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية » إنما يعبّر بأقوى الألفاظ عن معنى واحد، هو الامتناع التام والكامل عن الخطية... فلا يوجد أقوى من كلمة الموت للتعبير عن الانفصال الكامل بين وضعين أو شيئين أو حياتين.

و يعدّد الرسول هذه الأهواء والشهوات فيقول « أعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة. حسد قتل سُكر بطر وأمثال هذه... » (غلاطية ٥ : ١٩- ٢١)... وصلب الجسد كما قلنا هو إماتة لهذا الجسد « إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رومية ٨ : ١٣)... أما عن بركات الإماتة فيقول السيد المسيح « الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير. مَنْ يحب نفسه يُهلكها ومَنْ يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية » (يوحنا ١٢ : ٢٤، ٢٥).

كيف يدوم الموت بالصليب لتدوم الحياة فى المسيح وبه ؟

قال السيد المسيح « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى . فإن مَن أراد أن يخلّص نفسه يهلكها . ومَنْ يهلك نفسه من أجلى فهذا يخلّصها . لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها » (لوقا ٩ : ٢٣ - ٢٥ - أنظر متى ١٦ : ٢٤ - ٢٦ ؛ مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٧) ... والملاحظ أن كلمات البشيرين متى ومرقس ولوقا بهذا الخصوص تكاد تكون واحدة ... **هذه هى الوصية التى أوصانا بها السيد المسيح ، وبها يدوم الموت بالصليب كل يوم ، ومعه تدوم حياتنا فى المسيح وبه ...** لذا من المفيد التأمل فى كل كلمة من كلماتها ... لقد وضع المسيح شروطاً للتلمذة له وأن يكون مسيحياً :

ينكر نفسه - يحمل صليبه كل يوم - يتبعنى ...

+ **وصية انكار الذات وحمل الصليب هى وصية عامة لكل المسيحين** ، من كل الطبقات والاعمار بلا أدنى استثناء يقول مرقس البشير « **ودعا الجمع مع تلاميذه** » ... ليس هناك عذر لأحد . كما أنها وصية دائمة ، لا يستثنى فى تنفيذها يوم من الأيام ... وإن كان المسيح قد قدم هذه الوصية فى صورة اختيارية « إن أراد أحد » ، لكن الاختيار ليس منصباً على تنفيذ الوصية كما هى ، لكنه منصب على الإيمان بالمسيح ... لكن متى تم هذا الإيمان فلا بد من انكار الذات وحمل الصليب كل يوم

واتباع المسيح ...

فما معنى إنكار النفس فى كلمات المسيح ؟

بحسب رأى العلامة أوريجينوس فإن انكار النفس هو الثورة على الحياة الأولى بشدة، وازالة آثارها التى امضاها الإنسان فى حياة الشر... **وهكذا يصبح انكار النفس هو التوبة عينها، بها ينكر الإنسان كل فكر وكل قصد غير مقدس وكل معل لا يليق بابن لله هذا عن الناحية السلبية. وفى نفس الوقت - من الناحية الإيجابية يقدم بحياته الجديدة شهادة عن المسيح وفى المسيح. يقول اوريجنيوس [إن الامتناع عن كل خطية هو إنكار للنفس يقودها وراء المسيح. مثل هذا الإنسان قد صُلب مع المسيح ويحمل الصليب، ويتبع ذاك الذى من أجلنا حمل صليبه].**

وما معنى حمل الصليب فى كلمات المسيح ؟

يشترط السيد المسيح فيمَنْ يحمل صليبه أن ينكر نفسه و يسير وراءه ... معنى ذلك أن حامل صليبه يسير خلفه وفى نفس اتجاهه... **وإذا كان المسيح وهو حامل صليبه اتجه إلى الجلجثة حيث مات، فإن مَنْ يحمل صليبه و يسير وراء المسيح، يكون قد أعطى ظهره للعالم، و يتجه إلى حيث يموت...** وهكذا فحينما يوصينا المسيح أن نحمل الصليب ونسير وراءه، إنما ذلك اعلان أن يكون لنا فى أنفسنا حكم الموت... **أعطاء ظهورنا للعالم يشير إلى عدم اهتمامنا بالعالم والعالميات، وحملنا الصليب اعلان عن قبولنا الموت خلف الرب أو على مثاله...** لقد

خرج الناس إلى الطريق ليودعوا الرب يسوع أو يشيعونه بالعبرات ، وهو حامل صليبه ... وكان من ضمنهم بعض الإناث اللائى كن يبكين فنظر إليهن وقال **« يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن »** (لوقا ٢٣ : ٢٨) .

ووصية حمل الصليب هى وصية دائمة ... يقول « كل يوم » ... لا يوجد وقت يحمل فيه المؤمن صليبه ، ووقت يُلقيه عنه ... انها مسيرة واحدة يجب أن تكمل ، وإن كانت تشمل الحياة كلها ...

ونلاحظ فى وصية المسيح له المجد كلمة « ويتبعنى » ... إن حمل الصليب بدون اتباع الرب يسوع والسير خلفه ، إنما يُعتبر لغواً وتعذيباً للنفس والجسد لا داعى له ... فالهدف هو المسيح ، ولذا يجب ألاَّ نُحوّل النظر عنه « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب » (عبرانيين ١٢ : ٢) ... **هناك كثيرون** يمارسون الأعمال التقوية وأعمال الإماتة كهدف فى حدّ ذاتها ، **ولذا فهى** تمارس دون تجديد فى الحياة الروحية ... إذن علينا ـ **فيما نحن نحمل** الصليب ـ أن نتبع الرب يسوع ، لأنه هو الطريق والحق والحياة ، **أو الطريق** الحق الذى يؤدى إلى الحياة ...

ثم إن كلمات المسيح المتصلة بحمل الصليب والسير وراءه ، **تكشف** لنا عن تأكيد لمعنى الموت عن العالم والعالميات ... يقول « فإن مَنْ أراد أن يُخلّص نفسه يهلكها . ومَنْ يهلك نفسه من أجْلى فهذا يخلصها » .

أخيراً يكشف المسيح عن قيمة النفس البشرية التى لا تُقدّر بقوله

«لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» ...

أيها الاخوة والأبناء ... إن العالم بكل ما فيه لا يعطى السعادة للإنسان ... فمسراتها كاذبة وخادعة ... ثرواتها وأمجادها لا تشبع القلب ... الإنسان يشتهى ما لا يمتلكه. لكن حالما يمتلكه يشعر أنه باطل وفارغ وتافه ... وأسوأ ما فى الأمر أننا حينما نقتنى أشياء العالم - التى طالما تمنيناها واشتهيناها - لا نستطيع الاحتفاظ بها. فالموت يدركنا و يُفرّق بيننا وبين ما نمتلك ... فالنهاية الحتمية التى لا يمكن أن تتغير هى **«عرياناً خرجت من بطن أمى، وعرياناً أعود إلى هناك»** (أيوب ١ : ٢١) ... أو بحسب تعبير القديس بولس الرسول **«لأننا لم ندخل العالم بشىء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشىء» (تيموثاوس الأولى ٦ : ٧) ... هذا هو العالم الذى يجذب انتباه آلاف البشر ... وهذه هى الدنيا التى لأجلها يُهلك ملايين البشر أرواحهم !! ... الخسائر المادية فى الحياة لا تقارن بخسارة النفس، إذ لا يوجد شىء يوازيها ...**

كيف يموت المسيحى عن العالم وهو عائش فيه ؟

إن آمنا بوصية المسيح الخاصة بحمل الصليب، وبأنه موت عن العالم والعالميات، فلنجعل هذا هدفاً لنا فى حياتنا. لا بد أولاً من الاقتناع به، ثم وضعه كهدف - **مع ملاحظة ألاّ يكون الموت عن العالم هدفاً فى ذاته - فنحن نمارس هذا الأمر دون انفصال عن النظر إلى المسيح والسير وراءه، حيث أن المسيح فى حياتنا هو الهدف الأول والأكبر. ونقدم بعض أمثلة وانماط :**

الطعام : كثيرون يُسرفون فى موضوع الأطعمة ، و يَتَفَنّنون فى أنواعه خاصة السيدات ... حتى فى الأصوام أصبح الإنسان لا يفرّق بين الأطعمة الفطارى والصيامى من فرط الاتقان والاهتمام ... لنتنازل بعض الشيء عن هذا الاتقان المتعمد والاهتمام الزائد . ولا نجعل لأنواع معينة من المأكولات والمشروبات (كالشاى والقهوة) سلطاناً علينا حتى أننا لا نستطيع الاستغناء عنها ... لنذكر كلمات الرسول بولس « **كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىَّ شيء . الاطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك** » (كورنثوس الأولى ٦ : ١٢ ، ١٣) ... هناك كثيرون يتسلط عليهم كيف معين كشرب الشاى أو القهوة وما إلى ذلك ... **لنتذكر كلمات بولس « لا يتسلط علىَّ شيء » ... لنخفف من غلوائنا من مفاخر الطعام واطايبه « الله سيبيد هذا وتلك » ...** لنذكر أننا نحيا حياة مؤقتة ، وكل ما ضيقنا على ذواتنا ، كل ما فتح لنا المسيح باباً من أبواب مراحمه ، ومتعنا بالشركة معه ... « **إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوماً** » (كورنثوس الثانية ٤ : ١٦) .

اللباس والانفاق بصفة عامة : ما أكثر ما ينفق الناس فى ثيابهم ، إذ هو المظهر الخارجى الذى يستترون فيه ... **هناك ما هو ضرورى ، وهناك ما هو زائد و يعتبر من الكماليات ...** لنذكر كلمات بولس الرسول « **إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما** » (تيموثاوس الأولى ٦ : ٨) ... **نتأمل كلمات الرسول : قوت أى يُقيت الإنسان و يسدّ رمقه ، وكسوة أى ما يستره و يكسو عريه ...** لنذكر ونحن نحمل الصليب أننا قد ادرنا ظهورنا للعالم ونتجه وراء المسيح نحو الجلجثة ... ولنذكر أيضاً أننا لو

اعتدلنا فى انفاقنا لاستطعنا أن نقلل من مصروفاتنا ، ونُسعد كثيرين من البؤساء والمحتاجين بفضلتنا ـ أى بما يفضل عنا ... ليست السعادة هى أن يجمع الإنسان لنفسه كل شيء ، بل السعادة الحقيقية هى فى إسعاد الآخرين ...

اذكر وأنت تأكل أطايب الطعام أن هناك بطوناً خاوية جائعة ، وافواها مفتوحة تطلب طعاماً . واذكر وأنت تختار لنفسك ثياباً فاخرة ناعمة ، أن هناك عرايا كثيرين ... هؤلاء مع الجائعين هم اخوة المسيح ، الذين بسبب العناية بهم تنال التطويب من فم المسيح فى اليوم الأخير... «جعت فاطعمتمونى ... عرياناً فكسوتمونى» (متى ٢٥ : ٣١ـ ٤٠) .

أنا لا انكر أن الناس ليسوا جميعاً على قدم المساواة فى الإنفاق ، وما تتطلبه مراكزهم التى يشغلونها من حسن المظهر والانفاق بصفة عامة ... لكن يجب أن يكون لكلٍ حدٌ فى الاكتفاء .. فحدّ الاكتفاء بالنسبة لإنسان عادى غير حدّ الاكتفاء بالنسبة لإنسان يشغل منصباً كبيراً وهكذا ... « الله قادر أن يزيدكم كل نعمة ، لكى تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين فى كل شيء تزدادون فى كل عمل صالح » (كورنثوس الثانية ٩ : ٨) .

أمور تتصل بحمل الصليب وتشجعه :

هناك بعض فضائل وممارسات تتصل بالموت عن العالم والعالميات المعبَّر عنه بحمل الصليب ، وتشجعه ... ونكتفى بذكر فضيلتين هما الغربة والتجرّد :

الغـــــربة :

أولاد الله منذ البدء لم يربطوا آمالهم بالعالم ، بل اشتاقوا إلى **« المدينة التى لها الاساسات التى صانعها وبارئها الله »... وابتغوا « وطناً أفضل أى سماويا »... « واقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض »** (عبرانيين ١١ : ١٠ ، ١٦ ، ١٣)... هكذا شهد عنهم بولس الرسول ، وهكذا شهدوا هم أيضاً عن أنفسهم كما يظهر ذلك من صلاة داود النبى **« لأنى أنا غريب عندك ، نزيل مثل جميع آبائى »** (مزمور ٣٩ : ١٢) .

واستمر هذا الشعور بالغربة فى العهد الجديد ... نلمسه فى تعليم السيد المسيح نفسه لتلاميذه « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ... لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٨ ، ١٩)... وأيضاً بقوله للآب « ليسوا من العالم ، كما انى أنا لست من العالم » (يوحنا ١٧ : ١٤ ، ١٦)... **والغربة فى مفهوم بولس الرسول ليست فقط وجودنا فى العالم ، بل إن استوطاننا فى الجسد يعتبر فى حد ذاته غربة عن الله...** يقول « فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب ... فنثق ونسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب » (كورنثوس الثانية ٥ : ٦ ، ٨)... والرسول بطرس يطلب إلى المؤمنين « سيروا زمان غربتكم بخوف » (بطرس الأولى ١ : ١٧)... « أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (بطرس الأولى ٢ : ١١) .

وهناك فضائل تصب الشعور بالغربة لعل أهمها :

أ ـ تذكار الموت الذى هو لجام قوى للنفس ، وتذكار الموت يلد مخافة الله التى هى رأس الحكمة ، والتوبة والتخشع والنسك والزهد فى الحياة والاحتراس . . .

ب ـ الاشتياق إلى عالم أفضل « فحيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً » (لوقا ١٢ : ٣٤) ، والارتباط بالسماء وبالقديسين هناك وبالملائكة والسمائيين .

جـ ـ عدم مشاكلة العالم ... فلإنسان يحسّ أنه غريب عن الناس فى كل شىء ، لهم شهواتهم التى لا تنتهى ، أما هوفليست له سوى شهوة واحدة ليست فى هذا العالم .

التجـــــرّد :

فضيلة التجرد ليست فضيلة رهبانية بل هى فضيلة مسيحية عامة تبلغ أسمى صورها فى الرهبنة ... وليس أدل على عموميتها من قول يوحنا الرسول للمؤمنين عامة « **لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم** » (يوحنا الأولى ٢ : ١٥) ... هذه الآية التى اهتمت الكنيسة بتثبيتها فى عقول المؤمنين بأن جعلتها خاتمة قراءة فصل الكاثوليكون فى كل قداس . . . ويؤكد يعقوب الرسول على ذلك بقوله « **اما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله** » (يعقوب ٤ : ٤) ... **والسيد المسيح هو الذى وضع أساس فضيلة التجرد فى متنوع صورها ودرجاتها** ، فلم يكن له أين يسند رأسه (متى ٨ : ٢٠) ... ولا أين

يصنع الفصح (مرقس ١٤ : ١٤) ... ولا يملك درهمين يدفعهما جزية (متى ١٧ : ٢٤ ، ٢٧) ... على الرغم من أنه مالك السماء والأرض ... !! وقال للشاب الغنى إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع املاكك واعط للفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء وتعالَ اتبعنى حاملاً الصليب (متى ١٩ : ٢١ ؛ مرقس ١٠ : ٢١) ... وإن كان قد قال لأحد الأغنياء ، فقد قال أيضاً بصفة عامة « بيعوا ما لكم واعطوا صدقة . اعملوا لكم اكياساً لا تفنى ، وكنزاً لا ينفد فى السموات » (لوقا ١٢ : ٣٣) ... وقال فى العظة على الجبل « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض » (متى ٦ : ١٩) ... كما أورد قصة الغنى الغبى فى نفس المعنى (لوقا ١٢ : ١٦ - ٢١) ...

والحكمة من التجرد ألاّ يحب الإنسان المال وكنزه وتنميته « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يُبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (متى ٦ : ٢٤ ، ٢٥) ... **وحتى لا يتولد فيه الشعور بالاتكال على المال ويفقد الاتكال على الله** « ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله » (مرقس ١٠ : ٢٣ ، ٢٤) ... **هذا فضلاً عن بركات التجرد التى تظهر فى مساعدة الفقراء والمحتاجين الذين يعتبرهم المسيح اخوته .**

ويرتبط التجرد بالغربة بل هو ابنها تلده وترضعه ... فكلما نمت روح الغربة فى الإنسان ، كلما نما معها تجرده عن العالميات . والإنسان الذى يشعر بغربته فى العالم ، يتذكر الموت باستمرار . وتذكار الموت يدفعه فى قوة إلى التجرد ، لأنه يعلم يقيناً أنه لا بد - بالموت - سيترك كل مقتنياته فى العالم ، وكل ما يسعى لاقتنائه .

وهناك فوائد كثيرة للتجرد منها انه يدخل السعادة للنفس ، فالإنسان المتجرد يعيش بعيداً عن الشهوات التى هى سبب آلام الإنسان ، ولا يوجد ما يشغل فكره و يقلق نفسه ، ولا توجد شهوة تحزنه ان لم يحصل عليها ... والإنسان المتجرد يحيا فى سلام مع نفسه ومع الآخرين لأنه لا يوجد ما يتنافس لأجله مع الآخرين ... أخيراً فإن الإنسان المتجرد يتمتع بقلب نقى هو مسكن صالح لله يحلّ فيه و يباركه .

الحياة من الموت :

تكلمنا عن الصليب كموت عن العالم والعالميات وما يرتبط بها من شهوات ... وقلنا إن هذا الموت موت بالإرادة ... وهو يختلف عن الموت الطبيعى المعروف بأنه لا يضع نهاية للحياة ، بل على العكس هو يبدأها ويجدّدها و ينميّها باستمرار ... يعلّم الآباء القديسون الروحانيون أن الإنسان الطبيعى يحمل معه وبداخله إنساناً آخر يطلقون عليه اسم الإنسان الداخلى أو الإنسان الجوانى ... وبداية هذا الإنسان الداخلى الجوانى من بطن المعمودية المقدسة حينما وحيثما يولد الإنسان ميلاداً ثانياً جديداً ... وبولس الرسول يذكّر أهل كولوسى بذلك يقول لهم « اطرحوا عنكم أنتم .. الغضب السخط الخبث التجديف ... إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله . ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كولوسى ٣ : ٨ : ١٠) ... هذا الإنسان الجديد الذى نلبسه والذى نتكلم عنه ، إنما يظهر بعد خلع جسم خطايا البشرية بالمعمودية المقدسة (كولوسى ٢ : ١١ ، ١٢) ... هذا الإنسان الداخلى أو الجوانى أو الجديد هو الذى يشير إليه بولس بقوله « إن كان إنساننا الخارج

يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (كورنثوس الثانية ٤ : ١٦) ...

هذا الإنسان الداخلى الجديد له حواس خمسة مقابل خمس حواس الجسد المعروفة ... يقول السيد المسيح لملاك كنيسة لاودكيا **« هنذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل إليه واتعشى معه وهو معى »** (رؤيا ٣ : ٢٠) - ... وواضح إزاء هذا الكلام أن الإنسان لا يسمع صوت المسيح بالأذن الجسدية ، ولا يفتح له بالأيدى الجسدية ، ولا يتعشى معه بالفم الجسدى ، **إنما كل ذلك يتم روحياً بواسطة الإنسان الداخلى الروحانى الجديد ...**

وبقدر ما يكون الإنسان الخارجى - وهو الإنسان الهيولى الذى يرى - عائشاً لشهواته ورغباته ، بقدر ما يكون الإنسان الداخلى مقيداً مكتوماً ... يقول الرسول بولس **« إن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون »** (رومية ٨ : ١٣) ... **إن كان للروح السيطرة والهيمنة على الجسد الهيولى فسيصبح الإنسان روحانياً ، وينتقل من الموت الحياة ...**

إن الإنسان حينما يحمل صليبه ويميت الإنسان العتيق ، فسوف يختبر قوة كلمات الرسول « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » ... « قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله » (كولوسى ٣ : ٣) ... المسيح هو الحىّ فى الإنسان ، سوف لا تكون له مشيئة أخرى غير مشيئة الله ، فالمسيح هو الحىّ وهو العامل به وفيه ... إنها حياة الكمال المسيحى ، وهكذا يكون الصليب حياة من موت .



أبطال حملوا الصليب

أبطال حملوا صليب الكرازة :

بولس الرسول ـ بونيفاس الإنجليزى .

أبطال حملوا صليب الدفاع عن الإيمان :

البابا أثناسيوس الرسولى ـ البابا ديسقوروس .

أبطال حملوا صليب الشهادة :

فيلياس الأسقف ـ العذارى بوتامينا واجنس .

أبطال حملوا صليب النسك :

أرسانيوس ـ مكسموس ودوماديوس .

سنكليتيكى ـ أناستاسية المتوحدة .

عينات لمؤمنين حملوا الصليب بثبات :

صليب المرض ـ صليب الزيجة ـ صليب الفاقة .

من أين نبدأ موضوع هذا المساء « **أبطال حملوا الصليب** » ... هل نتكلم عن المؤمنين فى أجيال المسيحية الأولى . وقد كانوا كلهم قديسين حملوا الصليب فى حب وثبات واتضاع ... عن ايهم نتكلم . وقد أرضوا جميعهم الرب بسيرهم خلفه ، وبطاعته حتى الموت ... لقد عاشوا يحتضنون الصليب -ما فارقوه- إذ رأوا فيه صليب مخلصهم . وقطعوا المسيرة كلها ، وقاموا مع المسيح ، وعيدوا له ومعه عيداً روحياً ... سنحاول بقدر الإمكان أن نقدم عينات من أولئك الأبطال الذين حملوا الصليب ، لعل ذلك يكون مشجعاً لنا ومعزياً ...

أولاً - أبطال حملوا صليب الكرازة :

كان أمر السيد المسيح ووصيته لرسله وتلاميذه ، الذين يؤلفون نواة الكنيسة الأولى ... « اذهبوا إلى العالم أجمع . اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥) ... فانطلق هؤلاء وأولئك يحملون بشرى الخلاص ويكرزون للجميع بالمسيح المصلوب ... كان هؤلاء الكارزون فيما يحملون الصليب ، يكرزون بالمخلص الذى مات مصلوباً ... **هكذا رآهم الناس ، ورأوا صليب المخلّص فيهم ... ما أكثر ما صادفهم من ضيقات وشدائد واحزان وآلام ، لكن فى هذه جميعها يعظم انتصارهم بالذى أحبهم** (رومية ٨ : ٣٧) . ونقدم الآن مثلين ممن حملوا صليب الكرازة :

١ - بولس الرسول :

لعل بولس هو أبرز مثال لمن حملوا صليب الكرازة ... ذاك الذى قال

عن ذاته بالروح القدس انه تعب أكثر من جميع الرسل (كورنثوس الأولى ١٥ : ١٠) ... كلنا يعلم حياة بولس الأولى قبل اهتدائه للمسيحية ... ولكن ما أن آمن بالمسيح ، وقبله إلهاً ورباً ومخلصاً ، حتى التهب قلبه بمحبته ، وصار كل همّه أن يقدم المسيح الفادى المصلوب لكل نفس ... وحينما أقول المسيح المصلوب ، أعنى المسيح المحب فليس حب أعظم من هذا ، أن يضع واحد نفسه من أجل أحبائه ...

وما أن قبل نعمة المعمودية المقدسة حتى حمل صليب المسيح الذى عاتبه برفق « لماذا تضطهدنى » (أعمال الرسل ٩ : ٤) ... واندفع فى حب جارف كخادم لسيّده ، لا يلوى على شىء ، جاعلاً شعاره ... « ولا نفسى ثمينة عندى ، حتى اتمم بفرح سعيى ، والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله » (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٤) ... لقد أعلن بولس الرسول هذه المشاعر لكهنة مدينة أفسس ، بعد أن كشف لهم عن طرف من صليب الكرازة الذى كان يحمله ... « أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كل الزمان أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى بمكايد اليهود ... والآن ها أنا ذاهب إلى أورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفنى هناك . غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلاً إن وثقاً وشدائد تنتظرنى » (أعمال الرسل ٢٠ : ١٨ - ٢٣) ...

لقد حمل بولس صليب الكرازة باسم يسوع المسيح المخلّص بفرح واتضاع ... ولقد اصابته شدائد كثيرة كشف عن بعضها مضطراً لصالح الخدمة ، حينما حاول بعض أعدائه أن يصوّروه كرسول من الدرجة الثانية ، لأنه لم يتتلمذ على المسيح بالجسد . وكان ذكرها فى

معرض دفاعه عن رسوليته، قال... «أهم خدام المسيح، أقول كمختل العقل فأنا أفضل. فى الاتعاب أكثر، فى الضربات أوفر. فى السجون أكثر. فى الميتات مراراً كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلاً واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصى. مرة رجمت. ثلاث مرات انكسرت بى السفينة. ليلاً ونهاراً قضيت فى العمق. بأسفار مراراً كثيرة. بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من جنسى. بأخطار من الأمم. بأخطار فى المدينة. بأخطار فى البرية. بأخطار فى البحر. بأخطار من أخوة كذبة. فى تعب وكد. فى أسهار مراراً كثيرة. فى جوع وعطش. فى أصوام مراراً كثيرة. فى برد وعرى. عدا ما هو دون ذلك التراكم علىَّ كل يوم الاهتمام بجميع الكنائس. من يضعف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا التهب. إن كان يجب الافتخار فسأفتخر بأمور ضعفى. الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى هو مبارك إلى الأبد يعلم انى لست أكذب» (كورنثوس الثانية ١١ : ٢٣- ٣١).

لقد حمل بولس الصليب وكرز لمعظم العالم المعروف فى ذلك الوقت ... رجمه الوثنيون مع اليهود فى مدينة لسترة بآسيا الصغرى، وجرّوه خارجها ظانين أنه قد مات (أعمال الرسل ١٤ : ١٩)... ولقد لقى مقاومة عنيفة من الذين أرادوا أن يهوّدوا المسيحية. لكنه ثبت على التعليم أن الخلاص هو بدم المسيح وحده بدون أعمال الناموس اليهودى القديم... ومن فرط مضايقاتهم له فى مدينة أفسس شبهّهم بالوحوش (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٢)... وكانوا يتعقبونه من مدينة إلى أخرى محاولين هدم تعليمه...

تجمع حوله بعض اليهود المتعصبين المتزمتين فى الهيكل بأورشليم، وجروه خارجه متهمين إياه أنه يدنس الهيكل بادخاله بعض الوثنيين إليه. **وكانوا سيقتلونه لا محالة**، لولا أن الضابط الرومانى أنقذه من أيديهم (أعمال الرسل ٢١) ... **لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، فقد تعاهد أكثر من أربعين من اليهود ألاّ يذوقوا طعاماً أو شراباً حتى يقتلوه** (أعمال الرسل ٢٣ : ١٢) ... وأرسل بولس بعد ذلك إلى الوالى الرومانى فى **قيصرية** لينظر فى أمره. **وظل مسجوناً بها لمدة سنتين ...** بعدها رُحّل مقيداً بالقيود الحديدية إلى روما ليحاكم هناك بناء عن طلبه كمواطن رومانى ... **وظل أسيراً بها حوالى** سنتين ثم أطلق سراحه. **بعد ذلك قبض عليه مرة أخرى وسيق إلى روما وسجن بها، وظل هكذا حتى استشهد قتلاً بحد السيف على عهد نيرون الطاغية فى سنة ٦٧، أو ٦٨م.**

٢ ـ بونيفاس الانجليزى :

وهو الذى حمل الإيمان المسيحى إلى القبائل الجرمانية المتبربرة، فيما يعرف الآن باسم ألمانيا وهولندا. ولد فى أسرة ثرية سكسونية تمت بصلة قرابة للأسرة المالكة فى ولاية ويسكس Wessex، ودعى اسمه **وينفرد Winfrid** أى الجميل الجذاب ... ولد فى بلدة كريديتون Crideton **بمقاطعة** ديفونشير Devonshire بانجلترا سنة ٦٨٠، **وتلقى دراسته فى المدرسة الملحقة** بالدير فى اكستر Exeter ... **واضطرم قلبه منذ صباه بحمل رسالة المسيحية إلى القبائل الوثنية فى بلاد الجرمان** التى هاجر منها آباؤه واجداده قبل أن يستوطنوا الجزر البريطانية ... **فاتح بعض رفاقه فيما يتوق**

إليه ، فارتضى ثلاثة منهم أن يقوموا بهذه المغامرة ...

استقل الأربعة سفينة بدائية مصنوعة من الخشب الخشن ، حملتهم إلى شواطىء هولندا . لكنهم لم يلقوا ترحاباً ، لأن ملك البلاد كان مشتبكاً فى حرب مع شارل مارتل ملك الفرنجة المسيحى . وأمرهم بمغادرة البلاد ، فقفلوا راجعين إلى بلادهم .

على أن هذه الصدمة لم توهن عزيمته ، بل فكر فى وسيلة أخرى لتحقيق حلمه ... رحل عن طريق فرنسا قاصداً روما عبر ممرات جبال الالب الثلجية ... وفى ايطاليا تعرض هو وزملاؤه لهجمات قبائل اللومبارديين المتبربرة ... وفى روما مثل أمام بابا روما جريجورى الثانى ، الذى أعجب به ، وشجعه وبارك مهمته .

أخذ الشاب وينفرد يجاهد فى نشر الدعوة بين القبائل الجرمانية المتبربرة ، وآمن كثيرون على يديه .. ولما بلغ هذا النشاط أسماع بابا روما ، استدعاه ، ورسمه اسقفاً على الكنيسة الناشئة فى ألمانيا والمناطق الواقعة شرقى ضفاف نهر الرين باسم بونيفاس Boniface ، وحمّله توصية للدوق شارل مارتل حاكم مملكة الفرنجة المسيحى ، ليقدم له المعونة الممكنة بين القبائل السكسونية ، وكانوا يعيشون وسط الغابات .

وظل بونيفاس يجوب البلاد سائراً على قدميه أو ممتطياً جواداً ، يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ويعمدهم . وأحياناً كان يشتغل بيديه لتطهير بقعة من الأرض فى الغابة لإقامة كنيسة عليها ... ولقد تمجدّ الرب كثيراً على يديه ، فبلغ عدد الذين عمّدهم حتى سنة ٧٣٩ نحو مائة ألف . وكان

له من العمر ٥٩ سنة ..!!

ولما بارك الله فى خدمته ، واتسع حقل كرازته بعث إلى وطنه انجلترا يطلب متطوعين جدد من رجال ونساء ... كانت ابنة عمه أول من لبى النداء للعمل بين الفتيات الجرمانيات فى الغابات . وقد خرج فى اثرها من أديرة العذارى ببريطانيا سيل جارف من الراغبات فى الخدمة ... وما لبث أولئك الجرمان المتبربرين المتوحشين فى طباعهم ، أن أطاعوا كلمة الله تحت أقدام رسل الرحمة ودعاة المحبة والخير من هؤلاء المبشرين والخدام .

ولما بلغ بونيفاس الخامسة والسبعين القى رداء الأسقفية جانباً وارتدى ملابس الرهبان الخشنة . وشرع مع اثنى عشر من صحابته المغامرين معه فى مغامرة جديدة ... أقام من يخلفه للاشراف على الخدمة فى غابات المانيا . وسار مع تلاميذه الاثنى عشر إلى هولندا - البلاد التى رفضته أولاً ... هناك ظلّ لمدة سنتين كاملتين يعمل بين أشد القبائل شراسة وقسوة ، متنقلاً فوق الأنهار والمستنقعات والمجارى المائية ، يبنى الكنائس الخشبية هنا وهناك لمن يقبلون دعوته ... ولقد بارك الله خدمته ، وقبل كثيرون الإيمان بالمسيح .

وفى أحد أيام سنة ٧٥٥ نصب بونيفاس وأصحابه خيامهم على شاطىء أحد الأنهار استعداداً لإقامة طقس التثبت لعدد غفير من المسيحيين الهولنديين ... وفيما هو يترقب مجىء هؤلاء - أقبل عوضاً عن مواكب المسيحيين ، عصابة مسلحة تصيح صيحات الحرب ... نهض أصحابه للدفاع عنه ، أما هو فخرج من خيمته ، وبرباطه جأش استقبل هؤلاء المتوحشين

المسلحين، الذين أتوا للقضاء على المبشرين بتحريض كهنة الأوثان... التفت إلى زملائه وقال لهم فى هدوء وسكينة **[أيها الاخوة كونوا أبطالاً، ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، أما الروح فلا يقدرون أن يقتلوها... تقبلوا الموت ببسالة، لكى تكونوا مع المسيح إلى الأبد]...**

وما أن اتم بونيفاس كلمته حتى هجم هؤلاء الوثنيون المتبربرون على المسيحيين القلائل وفتكوا بهم عن آخرهم... وكان يحمل معه كفنه أينما ذهب، وأوصى أن ينقل جسده بعد موته إلى دير فولدا Fulda الكبير فى مقاطعة هيس Hesse الذى أسسه... **ويقول عنه أحد المؤرخين المحدثين، لعله أعظم مبشر كارز شهدته الكنيسة المسيحية بعد بولس الرسول.**

ثانياً - أبطال حملوا صليب الدفاع عن الإيمان:

ما كاد الإيمان المسيحى ينتشر فى العالم حتى تعرض على يد بعض الهراطقة لانحرافات مختلفة... **على أن حفظ الإيمان المسيحى «المسلّم مرة للقديسين» (يهوذا ٣)، أمر بالغ الأهمية...** فالقديس بولس الرسول **يدعو الإيمان وديعة** - أى أمانة لا يجوز التفريط فيها - (تيموثاوس الأولى ٦ : ٢٠)... ويوصى تلميذه الأسقف تيموثاوس أن يتمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعه منه فى الإيمان (تيموثاوس الثانية ١ : ١٣). كما يوصى تلميذه الأسقف تيطس قائلاً **«وبخّهم بصرامة لكى يكونوا أصحاء فى الإيمان»** (تيطس ١ : ١٣؛ ٢ : ٢). **وفيما كان الرسول بولس يسكب سكيباً ووقت انحلاله من الجسد قد حضر، هتف**

هتاف النصرة لأنه حفظ الإيمان (تيموثاوس الثانية ٤ : ٧) ... لا يكفى الإيمان بالمسيح كشىء عام، بل يجب المحافظة على سلامة هذا الإيمان من كل فكر دخيل أو زيادة أو نقصان ... هكذا علمت الكنيسة، وهكذا سارت.

وإذا كانت الكنيسة المسيحية قد جازت معركة ضارية مع الوثنية ممثلة فى الدولة الرومانية، من أجل بقاء الإيمان المسيحى، فقد خاضت معركة لا تقل ضراوة مع الهراطقة والمبتدعين، ومن لاذوا بهم من الأباطرة والملوك والحكام حفاظاً على سلامة هذا الايمان والعقيدة المسيحية ... وإذا كانت قد سفكت دماء زكية غزيرة من أجل بقاء الإيمان، فقد سالت دماء طاهرة أيضاً من أجل حفظ هذا الإيمان نقياً.

ومن أجل الحفاظ على الإيمان الارثوذكسى (المستقيم) التأمت مجامع كنسية على المستويين المكانى والمسكونى ... فى هذه الفترات برز أبطال - بكل ما فى هذه الكلمة من معنى - حملوا صليب الدفاع عن الإيمان. وقد نالهم ما نالهم، واحتملوا النفى والتشريد، بل بعضهم جاد بحياته دون أن تلين لهم قناة ... ويأتى فى مقدمة من حملوا هذا الصليب، البابا القبطى السكندرى أثناسيوس الرسولى ...

١ - البابا أثناسيوس الرسولى :

لعله أعظم بطاركة كنيسة الاسكندرية على الاطلاق، بل فى الكراسى الرسولية جميعاً ... ظهر أثناسيوس فى فترة اشتد فيها الخطر على الإيمان المسيحى بسبب الهرطقة الاريوسية التى أنكرت لاهوت ابن الله الكلمة.

وقد وجدت الكنيسة المسيحية فى العالم كله فى شخص أثناسيوس أقوى مدافع حامى عن إيمانها ... لذا فإن الكنيسة أعترافاً بفضله خلعت عليه لقب «حامى الإيمان» و«الرسولى» و«ضد العالم» ... وفى ذلك الوقت لم تكن الخطورة فى الآراء الفكرية التى نادى بها هؤلاء الهراطقة، بل فى مساندة القوى الحاكمة، الذين استطاع الهراطقة استقطابهم ...

ظهر أثناسيوس أول ما ظهر فى أول مجمع مسكونى انعقد فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥م - كان من الناحية الكهنوتية مجرد شماس، لكنه كان دون منازع فارس الحلبة، بل بطل كنيسة الله كما دعاه الملك قسطنطين الذى كان يحضر جلسات المجمع ... لكن هذا التألق والنبوغ والذكاء المفرط، جرّ عليه كل المتاعب التى أتت عليه بعد أن صار بطريركاً بعد ثلاثة أعوام من المجمع.

ظل أثناسيوس بطريركاً على كنيسة الاسكندرية لمدة ٤٦ عاماً (٣٢٨-٣٧٣) ذاق فيها الأمرّين. فقد نفى خلالها خمس مرات بعيداً عن كرسيه ... لكنه فى فترات النفى والإبعاد كان لا يكف عن الجهاد من أجل الايمان، إما بتجميع القوى المخلصة للإيمان السليم، وإما بكشف أضاليل الهراطقة وتفنيد حججهم إما شفاهاً أو بكتابة الرسائل.

لقد تألّب عليه أعداؤه، ولم يتركوا وسيلة إلاّ سلكوها للتخلص منه ... وعلى الرغم من أنهم كانوا من رجال الدين، لكنهم لم يتورعوا عن اللجوء إلى احط الوسائل والاتهامات للنيل منه والقضاء على

أقوى والله خصم لهم ... وعلى سبيل المثال عقد أعداؤه مجمعاً فى صور سنة ٣٣٥ لمحاكمته واتهموه فيه بالزنا بعذراء فض بكارتها وذلك ضمن اتهامات أخرى ، أظهر الله فى نفس المجمع بطلانها وكشف افتراءات خصومه ...

نُفى أول مرة إلى تريف Trèves على الحدود بين فرنسا والمانيا ، **وظل بها سنتين** وأربعة أشهر بين سنتى ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

ونفى للمرة الثانية إلى روما بين سنتى ٣٣٩ ، ٣٤٦ . وأقام الامبراطور أسقفاً دخيلاً ليحل محله هوغريغوريوس الكبادوكى ... ولتنفيذ هذا الأمر هاجم الجند يناصرهم الاريوسيون الكنيسة التى كان يصلى فيها أثناسيوس ، وكان يوافق ذلك اليوم يوم جمعة الصلبوت سنة ٣٣٩ . وانقذ أثناسيوس من الموت بمعجزة إلهية ... **كانت مدة نفيه فى روما سبب بركة للعالم كله ولبلاد الغرب خاصة . فقد كتب هناك كتابه الخالد عن حياة الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة .**

ونفيه للمرة الثالثة استمر من سنة ٣٥٦ إلى سنة ٣٦٢ ... حدث أنه فى منتصف ليلة ٨ فبراير سنة ٣٥٦ حوصرت كنيسة تيوناس من كل ناحية . وكان أثناسيوس يقوم بصلاة التسبحة مع بعض أفراد الشعب .. هاجموا الكنيسة وقتل عدد كبير من الشعب ، وبمعجزة إلهية خرج أثناسيوس من الكنيسة يحيط به الاكليروس دون أن يفطنوا إليه . **وقد ظل خلال فترة الست سنوات هذه مختفياً داخل الحدود المصرية ، يتنقل من دير إلى دير ومن مكان إلى مكان آخر، دون أن تستطع قوات الشرطة التى**

تبحث عنه أن تكتشف مكان اختبائه.

وفى احدى المرات كان يستقل مركباً فى النيل ... وتصادف أن بعض أعدائه كان فى مركب أخرى يبحثون عنه. اقتربوا من المركب الذى كان فيه. ولما شعر أثناسيوس بذلك غيّر اتجاهه وسار نحوهم. ولما لم يتعرفوا عليه، سألوه عما إذا كان أثناسيوس قد مرّ من ذلك المكان. فقال لهم: نعم وليس هو بعيداً من هنا ... فتركوه واخذوا يجدّون فى اللحاق به ... هذا التصرف من جانب أثناسيوس يدل على منتهى الذكاء والشجاعة ...

ونفى للمرة الرابعة على عهد يوليانوس الجاحد، واستمر نفيه بين سنتى ٣٦٢، ٣٦٣ ... وقد قضى تلك الفترة فى بعض الأديرة خاصة فى منطقة الفيوم.

أما النفى الخامس (٣٦٦ - ٢٦٧) فكان فى عهد فالنز Valens الاريوسى الذى أصدر قراراً بعزل كل الأساقفة السابق عزلهم ... هرب أثناسيوس واختبأ فى قبر ابيه خارج مدينة الاسكندرية لمدة أربعة أشهر ...

كتب عن أثناسيوس اللاهوتى الإنجليزى ريتشارد هوكر (القرن السادس عشر) فى كتاب له عن سياسة الكنيسة يقول [لم يذق أثناسيوس طعم الراحة، ولم يَرَ السلام يوماً واحداً فى الست واربعين سنة التى مضت ما بين اليوم الذى ارتقى فيه السدة البطريركية والساعة الأخيرة من حياته فى هذه الدنيا. قلب له قسطنطين ظهر المجّن، وتألب عليه قسطنس فأنزل به من صنوف التعذيب والإيلام كل ما استطاعت الضغينة والحقد أن تخترعا. ثم أتى يوليانوس المرتد، وتبعه فالنز الذى لم يكن أقل

شراً من سِلفه. واتهموه بكثير من الجرائم... حتى إذا ما سيق إلى المحاكمة كان قضاته هم متهموه... أما الأساقفة وائمة رجال الدين الذين كان أثناسيوس يجاهد زوداً عنهم، فكان عليهم أن يأخذوا بناصره ويشاركوه فى الدفاع... هؤلاء كانوا بين شقى الرحى: إذا توددوا إليه جَرّوا على أنفسهم الويلات، التى إن لم تحوّلهم عنه - ولو ظاهرياً - فلا أقل من أن تبرهن لغيرهم على خطر البقاء على الولاء له. فلم يكن بد فى نهاية الأمر من استسلام الجميع - باستثناء قلة - للعوامل الدنيوية، وتحوّل الناس عن أثناسيوس، إن لم يكن عاجلاً فآجلاً... وهكذا اندفع تيار تلك الأيام الجارف، فأخلى الناس قاطبة السبيل له إلاَّ أثناسيوس. فإنه فى تلك المأساة الطويلة الشاقة، لم يفعل إلاَّ ما هو خليق بالحكماء ذوى الصدور الأمينة... **وهكذا انقضى نحو نصف قرن من السنين فى نضال مستمر، لا يعلم الناس فيها أى الفئتين هى الغالبة. هل فئة الأكثرية التى كان الكل فى جانبها، أم الفئة القليلة التى لم يكن لها صديق إلاَّ الله، أم الموت الذى ينهى حياة أثناسيوس فتنتهى متاعبه]!!**

٢ - البابا ديسقوروس :

هو بطريرك كنيسة الاسكندرية الخامس والعشرون، تدعوه الكنائس القويمة الرأى «بطل الارثوذكسية»... نالته شدائد كثيرة إبان الهرطقة التى نادى بها اوطاخى رئيس دير فى ضواحى القسطنطينية وخلاصتها أن طبيعة السيد المسيح الناسوتية تلاشت فى طبيعته الإلهية، فصار المسيح طبيعة واحدة ممتزجة... وكانت تلك الفترة تموج بالصراعات الذهبية. وكان كثيرون - خاصة الهراطقة ومعهم الامبراطور تقلقهم المكانة المرموقة التى بلغها بابوات

الاسكندرية . ومن ثمّ فقد اخذوا يدبرون الدسائس والمؤامرات .

كان امبراطور الدولة البيزنطية هومركيان وزوجته الملكة بولكاريا ... **عقد الامبراطور مجمعاً فى قصره بالقسطنطينية دعا إليه كثير من الأساقفة معظمهم من النساطرة، وحضر البابا ديسقورس هذا المجمع ...** حاول البعض أن يستميلوه ليوافق على طومس لاون (رسالة لاون) أسقف روما التى تثبت الطبيعتين فى المسيح بعد الاتحاد ..

حدث فى هذا المجمع أن أحد الأساقفة توجه بالكلام للبابا ديسقوروس وطلب إليه أن يذعن لرغبة الامبراطور ولا يخالفه كى يبقى فى منصبه . فما كان من ديسقوروس إلاَّ أن قال له [إن الامبراطور لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة ، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ، و يدع الكهنة يبحثون عن الإيمان المستقيم ، فإنهم يعرفون الكتب . وخير له أن لا يميل مع الهوى ، ولا يتبع غير الحق] ...

دهش الجميع من جرأة ديسقوروس ... وهنا قالت الملكة بلكاريا [يا ديسقوروس لقد كان فى زمان والدتى افدوكسيا إنسان قوى الرأى مثلك (تقصد يوحنا ذهبى الفم) . وأنت تعلم أنه لم يرَ من جراء مخالفتها خيراً . وانى أرى أن حالك سيكون مثله] .. **فأجابها ديسقوروس بكل شجاعة [وانت تعرفين ما أصاب أمكِ نتيجة اضطهادها لهذا القديس . وكيف ابتلاها الله بالمرض الشديد ، الذى لم تجد له دواءً ولا علاجاً ، حتى مضت إلى قبره وبكت عليه ، واستغفرت الرب فعوفيت . وهاانذا بين يديك افعلى ما تريدين ، وستربحين ما ربحته أمكِ] ...**

ونتيجة لهذه الكلمات تهجمت هذه الشريرة ومدت يدها وصفعته صفعة شديدة، اقتلعت ضرسين من اضراسه لشيخوخته. وما لبث أن انهال عليه بعض رجال القصر واوسعوه ضرباً. وامعاناً فى الاستهزاء به ونتفوا شعر لحيته... أما هو فبقى صامتاً محتملاً يردد كلمات الرسول بولس «من أجلك نمات كل النهار»... ثم جمع الأب الضرسين مع شعر لحيته، وأرسلها إلى شعبه بالاسكندرية، مع رسالة يقول فيها [هذه ثمرة جهادى لأجل الإيمان. اعلموا أنه قد نالتنى آلام كثيرة فى سبيل المحافظة على إيمان آبائى القديسين. أما أنتم الذين بنيتم إيمانكم على صخرة الإيمان القويم، فلا تخافوا السيول الهرطقية، ولا الزوابع الكفرية].

أما نتيجة هذه الصلابة فى الإيمان، فإن الأساقفة المغرضين وغير سليمى الإيمان ومتملقى الامبراطور، فى مجمع غير قانونى، هو مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ دبروا وخططوا وأصدروا حكمهم على البابا العظيم غيابياً باسقاط الأسقفية عنه وعزله من خدمة الكهنوت... وأرسلوا إليه هذه القرارات. أما هو فكتب على هامشها ما يظهر فسادها، كما كتب حرماً على كل من يتجاسر على تغيير العقيدة الارثوذكسية، أو يتلاعب بقوانين المجامع المسكونية...

ما أن علم الامبراطور بذلك حتى هاج وعوّل على قتل ديسقوروس، ولكنه خشى نتيجة هذه الجريمة، فاكتفى بنفيه إلى جزيرة غاغرا بآسيا الصغرى وبقى فى منفاه خمس سنين صرفها فى هداية الضالين وشفاء المرضى حتى انتقل من العالم سنة ٤٥٧.

ثالثاً ـ أبطال حملوا صليب الشهادة :

قال السيد المسيح لتلاميذه قبيل صعوده « **وتكونون لى شهوداً فى** أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أعمال الرسل ١ : ٨) ... وفى مجال تأدية هذه الشهادة ، قدموا حياتهم قدوة ونوراً للآخرين ، وشهدوا للإيمان باسمه انه ابن الله الحى ... **وإذا تأزمت الأمور وخُيّروا بين الحياة مع انكار ايمانهم بالمسيح ، والموت مع الشهادة للمسيح ، ما كانوا يترددون لحظة فى اختيار الموت مع المسيح ، حاسبين أنه ربح ...**

وقد اذهل شهداء المسيحية العالم بكثرة أعدادهم ، وقوة ثباتهم وصبرهم واحتمالهم ... ولم يكن الرجال وحدهم هم الذين ضحوا بأنفسهم ، بل إن العذارى والنساء حتى الصغار لم يكونوا أقل حماساً من الكبار ... وحفلت قوائم الشهداء بنفوس أحبت المسيح وظلت على ولائها له من كل المراتب والاعمار والاجناس . ونعرض الآن لباقة ممن حملوا صليب الشهادة :

١ ـ فيلياس أسقف تمىّ :

كان سليل أسرة عريقة فى المجد والجاه والثروة ، متفقهاً فى العلوم الدينية والفلسفية . آمن بالمسيحية فاعتنقها بفرح . نظراً لمكانته عينته الدولة والياً على منطقته . وقبل هو هذه المهمة لأنه وجد فيها فرصة لخدمة شعبه . **أقيم اسقفاً على نفس المنطقة ، فتحوّل من خدمة الدولة إلى خدمة المسيح .**

قُبض عليه فى مدة الاضطهاد الذى بدأه دقلديانوس وأكمله جاليريوس ومكسيمينوس، وحوكم بالاسكندرية أمام الوالى كلسيانوس Calcianus ... ونظراً لمكانته حاول الوالى بكل الطرق أن يدفعه للتضحية للآلهة من أجل انقاذ حياته دون جدوى ... ودار حوار طويل بين الوالى وفيلياس أثناء المحاكمة ... وجاءت اجابات فيلياس مخيبة لآمال المحامين الذين دافعوا عنه، حتى أنهم قالوا له [لماذا تقاوم الوالى بهذه الطريقة ؟] ..

وأثناء المحاكمة صاح المحامون نحو الوالى - رغبة منهم فى انقاذه رغماً عنه [أيها الوالى العظيم، لقد قدم سابقاً ذبائح فى قلب الملعب] ... فقاطعهم فيلياس [أبداً، لم يحدث] ... لكن المحامين - فى يأس - قالوا [أيها الوالى العظيم، إن موكلنا الجزيل الاحترام يطلب فرصة للتفكير] ... اجاب الوالى [نعم سأمنحه كل الوقت اللازم] ... وهنا قال فيلياس [تعطنى وقتاً للتفكير! اتعتقد انى سوف اتردد لحظة ! لن يكون ذلك لقد فكرت منذ زمن طويل . واختيارى لا يحتاج إلى ما يُثبّته . إنى اتعذب وسأموت لأجل المسيح] .

وهنا بدأ مشهد مؤثر ... أحاط به اقاربه الجسديون واصدقاؤه القدامى وكبار موظفى مدينة الاسكندرية، ورجوه بدموع أن يتظاهر على الأقل بإطاعة الأوامر الامبراطورية . والقوا بأنفسهم عند قدميه، غير انه كان كالصخرة تلاطمه الامواج دون ان تنال منه أو تزحزحه . لقد رفض كلماتهم واتجه بعقله إلى السماء، ووجه بصره إلى الله وقال إن واجبه أن يفكر فى الشهداء الأبرار والرسل كأصدقائه وذوى قرباه ...

وكان بين كبار الشخصيات التى حضرت المحاكمة **شخص يدعى فيلورومس ، كان يشغل منصباً كبيراً فى الدولة ،** لما رأى أن فيلياس غير مكترث لدموع احبائه وتوسلاتهم ولأسئلة الوالى ، **نهض وصاح :**

[هذا المشهد القاسى قد امتد طويلاً . لماذا تريدون أن تختبروا صلابة الرجل أكثر من ذلك . لماذا ترغبون فى تحويل إنسان مخلص عن الله بقصد ارضائكم . ألم تلحظوا أن عينيه لم تَعُدْ ترى دموعكم ، وآذانه لم تَعُدْ تسمع أناتكم . إن هذا يكفى . اتركوا هذا الرجل بسلام] .

وعند هذا الحد انتهت المحاكمة بالحكم على الأسقف فيلياس بالموت بقطع رأسه بحد السيف . واستشهد معه فيلورومس وكثيرون ممن أعلنوا إيمانهم ...

٢ ـ بوتامينا :

وفى الاضطهاد الذى أثاره سبتميوس ساديرس (١٩٣ - ٢١١) **احتملت بوتامينا ـ وهى عذراء مصرية ـ أشد أنواع العذاب ...** كانت تتمتع بنضج عقلى وجسمى ... وبعد أن عذبها الوالى تعذيباً قاسياً ، هددها بتسليمها إلى المصارعين للإساءة إلى جسدها ... وإذ سئلت عما استقر عليه رأيها ، فكرت قليلاً ثم قدمت إجابة اعتبرت خارجة عن حدود اللياقة ... وللحال صدر عليها الحكم ، وساقها لتنفيذ حكم الموت الضابط باسيليوس . ولما حاول الشعب اساءتها واهانتها بألفاظ بذيئة ، أبعد باسيليوس عنها أولئك المسيئين ، وأظهر نحوها كثيراً من الرقة والعطف .

كانت الطريقة التى تقرر اعدامها بها ، أن يصب ماء مغلى على أعضائها . لكنها صاحت قائلة للوالى [**أستحلفك برأس الامبراطور الذى تخشاه ، لا تجعلهم يجردوننى من ثيابى ، بل يدعونى انزل إلى القار المغلى قليلاً قليلاً ، حتى ترى أية قوة احتمال اعطانيها المسيح الذى لست تعرفه] ...**

أما الجندى باسيليوس الذى حامى عنها فكانت مكافأته أنها وعدته أنها ستذكره أمام المسيح حالما تصل إليه ... وفعلاً ظهرت له فى رؤيا لمدة ثلاثة ليالى بعد استشهادها ، وهى تقلّده اكليلاً وتقول له انها توسلت إلى الرب من أجله ، وأنه بعد قليل سيلحق بها ... وهذا ما تم فعلاً . فبعد أيام من استشهاد بوتامينا ، اعترف باسيليوس بالمسيح وقطعت رأسه بحد السيف .

قيل أن كلاً من باسيليوس و بوتامينا كانا من تلاميذ اوريجنيوس ... **وذكر عن بوتامينا أنها كانت أمةً . ولأن سيدها عجز عن أن يجعلها ترضخ لشهواته ، اتهمها أمام الوالى بأنها مسيحية ، وقدم له رشوى ليزيد من تعذيبها ، لعلها تنثنى عن عزمها ، وبذا تعود إليه ..**

اجنس Agnes :

ولدت بروما أواخر القرن الثالث من أسرة مسيحية شريفة ، وكانت بارعة الجمال ... وما أن بلغت عامها الثانى عشر حتى اتجهت بكل أشواقها نحو الرب ... تعلق بحبها شاب يدعى بروكبيوس ، كان أبوه حاكم مدينة روما . وعزم على الزواج منها ... تقدم إلى أسرتها طالباً يدها .. ولما تأخر رد

الأسرة، نفذ صبر الشاب، فحاول أن يكلمها فى الطريق مظهراً عواطفه نحوها ... فالتقى بها فى الطريق واقترب منها ليكلمها، لكنها رجعت إلى خلف كأنها أبصرت حيّة. وقالت له [أنا لا يمكننى أن انكث بعهدى واخون عريسى الذى لا أحيا إلاَّ بحبه] ... وأخذت تفيض فى اظهار مشاعرها نحو هذا العريس ... ورفضت قبول هدايا قدمها لها ...

أحسّ الشاب بطعنة فى كرامته، لأنه ظن أنها متعلقة بحب شخص آخر، وصل حبها له حدّ العبادة ... ومن فرط هيامه وتعلقه بها مرض ... قلق عليه والده، واستدعى اجنس وفاتحها فى الأمر، **لكنها شرحت له فى أدب انها نذرت بتوليتها ...** ولما لم يكن فى الوثنية نظير لنذر البتولية، فقد تدخل أحد الحاضرين وافهمه أن الفتاة مسيحية ... **وهنا خيّرها الأب بين أمرين، إما أن تعبد الآلهة الوثنية وتتزوج بابنه، وإما أن تُعذّب حتى الموت. وامهلها حتى اليوم التالى لتعطيه جواباً ... لكن الفتاة رفضت هذه المهلة للتفكير، وقالت له إن الأمر لا يحتاج من جانبها إلى تفكير، لأنها قد انتهت من اختيار الطريق ...** كانت اجابتها هذه بداية آلامها.

أمر الحاكم - والد العريس - أن تقيد أجنس بالأغلال الحديدية، وتُسحب إلى هيكل للأوثان. أما هى فرسمت ذاتها بعلامة الصليب، ولم تنظر نحو الأوثان ... **ولما لم يفلح فى ارهابها هددها بارسالها إلى بيت من بيوت الدعارة ...** أما هى فقالت له [لا أخاف بيت الفساد، لأنى معى ملاكاً يحفظنى من كل سوء] ... شرع الجند يعرّونها من ثيابها ليدخلوها إلى ذلك البيت. وللحال غطى شعرها كل جسمها حتى تعجب الجميع. وما أن دخلت ذلك البيت حتى اضاء نور سماوى. فتعزت

وشكرت الرب . وحدث أن بعض الأشرار ممن أتوا لارتكاب المنكر مع هذه العذراء ، لما رأوا ذلك الضوء ارتعبوا ولم يجسروا على الدخول .

غير أن بروكوبيوس ابن الحاكم الذى كان يود الزواج منها ، تجاسر ودخل ليُفسد أجنس . وحالما اقترب منها ضربه ملاك الرب فخر صريعاً ميتاً ... ولما رأى الحاضرون ذلك هربوا ونشروا الخبر فى كل المدينة ... أتى الحاكم والد الشاب مهرولاً ، وبعد أن عنّفها عاد وتذلل إليها أن تقيم أبنه الميت ... فصلّت أجنس وقام الشاب وهو يصيح [ليس إله حق إلاّ الذى يعبده المسيحيون] ... انتشر خبر هذه المعجزة ، لكن كهنة الأوثان هيجّوا الناس واخذوا يصيحون [لتمت أجنس الساحرة] .

أما الحاكم فجبن إزاء صخب الناس واحال الأمر لوكيله ، الذى استحضر اجنس وأمر أن تلقى فى النار... لكن النار لم تؤذها ، وشوهدت هى وسطها واقفة تصلى .. فلما رأى ذلك أمر بقطع رأسها بالسيف ... ولما اقترب منها جندى لينفذ الحكم ، ارتعد وتراجع ... أما هى فشجعته قائلة [هلم اقتل هذا الجسد الذى اعثر غير عريسى السماوى] ... كان استشهادها فى الاضطهاد الذى أثاره دقلديانوس ، ولها من العمر ١٢ أو ١٣ سنة .

وفى اليوم الثامن لاستشهادها تراءت فى حلم لوالديها ، ومعها زمرة من الفتيات الصغيرات ، ومعها أيضاً حمل أشد بياضاً من الثلج ... وقالت لهما [ألاّ كُفّا عن الحزن لموتى . وافرحا لأنى ظفرت باكليل] .

رابعاً ـ أبطال حملوا صليب النسك :

الاستشهاد هو تعبير عن قمة الحب للمسيح ... وبعد انتهاء الاضطهاد العنيف الذى حلَّ بالكنيسة على يد دقلديانوس واعوانه وصدور مراسم التسامح الدينى فى الربع الأول من القرن الرابع على يد الامبراطور قسطنطين وغيره، واعتبار الديانة المسيحية ديانة مسموح بها فى أنحاء الامبراطورية، توقف سيل الدماء ... وظهرت الرهبنة والتيار النسكى كامتداد للاستشهاد ... وإذا كان الاستشهاد هو الموت من أجل المسيح على مستوى الواقع، فإن حياة الرهبنة بما فيها من نسك وإماتة للجسد، تعتبر موتاً بدون سفك دم ... ونعرض الآن لبعض عينات ممن حملوا صليب النسك من الرجال والعذارى ...

١ ـ الأنبا أرسانيوس :

ويُعرف باسم معلم أولاد الملوك لأن الامبراطور ثئودوسيوس الكبير عهد إليه بتربية اركاديوس وهونوريوس، وكان يقيم بالقصر الامبراطورى ... فكر فى تفاهة العالم وفنائه، ومن ثمَّ هجر القصر الامبراطورى إلى برية شيهيت الذائعة الصيت بنساكها وقتذاك ... سلك مسلك النسك وعاش بصرامة شأنه شأن بقية النساك فى البرية ... جاءه يوماً إنسان يخبره عن ميراث آل إليه ... فقال له أرسانيوس [منذ كم من الوقت مات فلان]، فقال له منذ كذا شهر. أما هو فقال له أما أنا فقد مت منذ سنين ... عاش حياة الموت عن العالم ... **وكان بين الحين والحين يحث نفسه على الجهاد فيخاطبها قائلاً [يا أرسانى اذكر فيما خرجت**

لأجله . اذكر لماذا تركت العالم واتيت إلى ههنا] .

عرف عن محبته الشديدة للوحدة والصمت ... ومن ضمن الأقوال المأثورة عنه **[كثيراً ما تكلمت فندمت . أما عن صمتى (كلمة لم أقلها) فما ندمت قط] ...** زار البابا ثاوفيلس البطريرك ٢٣ البرية ، وأراد أن يقابل الأنبا أرسانيوس فأرسل إليه يستأذنه فى الحضور. اعتذر الأنبا أرسانيوس وقال [إن اتى فلا أستطيع إلاَّ افتح له واقابله . وإن فتحت له وقابلته فسأفتح لكل الناس واقابلهم . وإن فتحت بابى لكل الناس ، فلا استطيع البقاء هنا] ... فلما سمع البابا ثاوفيلس ذلك قال إن ذهبنا إليه فكأننا نطرده ...

عاش مثلاً حياً وقدوة ... عُرف عنه التأمل والاغراق فى الصلاة ... قيل عنه انه كان يقف ليصلى متجهاً نحو الشرق وقت الغروب ، والشمس خلفه ... و يظل هكذا طوال الليل دون ان يحسّ ، حتى تبزغ الشمس فى فجر اليوم التالى وتأتى أمامه ... **وكان كثير الدموع غزيرها ،** حتى قيل عنه أنه كان يبل الخوص الذى يصنع منه القفف من دموعه ... وذكر عنه أن الدموع صنعت مجارى على خديه لذا عرف باسم أرسانيوس الباكى .. اتصف بالعقل الكامل والحكمة ... وعمر طويلاً ، وتنيح فى شيخوخة صالحة . وقال عنه تلميذه الذى دون سيرته ، **أنه مات وابتسامة على شفتيه كمن هو ذاهب للقاء حبيبه .**

٢ ـ مكسيموس ودوماديوس :

كانا ابنى فالنتينانوس قيصر الغرب فى الدولة الرومانية ، وكان رجلاً يخاف الله ... تربيا على حياة التقوى ، واشتاقا منذ نعومة أظفارهما لحياة البتولية . كان خروجهما من قصر ابيهما الامبراطور بحجة زيارة موضوع المجمع المسكونى الأول بمدينة نيقية بآسيا الصغرى . ومن هناك **رحلا إلى الشام وتتلمذا لأب قديس يدعى اغابيوس . وقبيل نياحته أمرهما بالذهاب إلى برية شيهيت بالقطر المصرى ليتتلمذا للأب مقاريوس أب البرية .** وكان ذلك بناءً على رؤية اعلنت له ... وبعد رحلة شاقة قطعاها بحراً وبرّاً ، ومشياً طويلاً حتى تجرحت أقدامهما ، وصلا إلى البرية والتقيا بالأب مقاريوس ... وفى بداية الأمر نصحهما الأب مقاريوس بالعودة إلى العالم ، لشظف العيشة وخشونتها فى البرية ، خصوصاً لما لاحظه عليهما من دلائل الرقة والنعومة . لكنهما قالا له [إن كنا لا نقدر يا أبانا ، فإننا نعود إلى حيث جئنا] ... عاشا فى مغارة لمدة ثلاث سنوات ، كانا لا يُريَا إلاَّ فى الكنيسة للتناول من الأسرار المقدسة . وبعد سكنهما فى البرية هذه الثلاث سنوات ، تنيح الكبير مكسيموس ولحق به دوماديوس بعد ثلاثة أيام .

فى أثناء اقامتهما ببلاد الشام اتجهت أنظار الناس ليقيموا مكسيموس أسقفاً على روما بعد نياحة أسقفها ، كما كان طبيعياً أن يرث الأصغر فى هذه الحالة وهودوماديوس العرش الامبراطورى خلفاً لأبيه ... لكنهما تشبها بموسى الذى حسب عار المسيح (صليبه) غنى أفضل من خزائن مصر .

٣ ـ سينكليتيكى :

ولدت هذه العذراء بالاسكندرية من أسرة شريفة . كان لها أخان شقيقان مات أصغرهما فى صباه ، أما الكبير فمات ليلة زفافه ، الأمر الذى جعلها تفكر فى زوال العالم ، ونظرت إلى مباهج الدنيا وإذا هى باطلة كلها ... قررت أن تكرس حياتها لخدمة الله ، ومراعاة لمشاعر والديها المجروحين بقيت معهما فى البيت ، لكنها اعلمتهما أنها نذرت بتوليتها ... ووضعت لنفسها نظاماً نسكياً تسير عليه بكل دقة مع بقائها فى بيتها ...

ظلت فى منزل والديها حتى انتقالهما . وعندئذ وزعت أموالها على الفقراء ، وأخذت اختها الوحيدة الباقية من الأسرة وقصدت مقبرة أسرتها ، وهناك عاشت بضع سنين . وفى هذه الفترة ضاعفت أصوامها وصلواتها ... وبدأ خبرها يُعرف فى الاسكندرية ، فقصدها البعض لرؤيتها ونوال بركتها ... وقصدها بعض الشابات العذارى ومكثن معها ...

تركت مقبرة العائلة وعاشت مع زميلاتها فى مبنى خارج مدينة الاسكندرية وكرست حياتها لخدمتهن ... بلغت الثمانين من عمرها وهى تتمتع بصحة تامة ، لكنها اصيبت بمرض صعب فى نهاية حياتها ... وقبل انتقالها بثلاثة أيام رأت جمهوراً من الملائكة ومعهم عدداً من العذارى ، وقلن لها [اننا اتينا لندعوكِ فتعالى معنا] وما أن سمعت هذه الكلمات حتى تبدلت صورتها واكتنفها نور إلهى يشع منها . وعاشت بعد ذلك ثلاثة أيام بعدها انتقلت إلى بيعة الأبكار... كتب سيرتها البابا أثناسيوس الرسولى على نحو ما سجل لنا سيرة العظيم أنطونيوس ...

اناستاسية المتوحدة بشيهيت :

هى عذراء شريفة من القسطنطينية . كان لها مركز مرموق فى بلاط الامبراطور البيزنطى جوستنيان (٥٢٧- ٥٦٥) وزوجته الامبراطورة ثيئودورة. اعجب الامبراطور بجمالها وذكائها وهام بحبها وأراد الزواج منها ، لكن زوجته كانت على قيد الحياة ... وإذ ضاقت اناستاسية ذرعاً بمضايقات جوستنيان ، وكانت قد عزمت فى قلبها أن تكون عروساً للمسيح ، **قررت ترك القصر الامبراطورى ، بل ومدينة القسطنطينية كلها ، ورحلت خفية إلى الاسكندرية ...** وعلى مقربة منها أسست ديراً ظلت تتعبد فيه ، عرف فيما بعد باسم دير اناستاسية البطريقة أى الشريفة .

وبعد وفاة الامبراطورة تيودورة سنة ٥٤٨ جدّ الامبراطور فى البحث عنها . وإذ احست هى بذلك ابتكرت طريقة للهرب . **فتنكرت فى زى الرجال وتوجهت إلى برية شيهيت** وتباركت من أجساد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ برية شيهيت . وقابلت الأنبا دانيال قمص البرية واعلمته بأمرها . أما هو فعيّن لها احدى المغارات فى البرية الداخلية فى جهة منعزلة . وكان يرسل لها تلميذه كل أسبوع مرة يمدها باحتياجاتها من الزاد والماء . وظلت هكذا لمدة ثمان وعشرين سنة لا يعلم أحد عن أمرها شيئاً حتى تنيحت سنة ٥٧٦ بعد أن جاهدت جهاد الرجال ، من أجل الاحتفاظ بطهارتها وحبها لعريسها السمائى .

خامساً ـ عينات أخرى لمؤمنين حملوا الصليب بثبات :

لم يكن الكارزون والمدافعون عن الإيمان والشهداء والنسّاك والناسكات هم وحدهم الذين حملوا الصليب ، **لكن هناك مؤمنين عاديين عاشوا فى العالم وحملوا صليبهم بشكر وبلا تذمر أو شكوى ، فى صبر وطول أناة ... منهم مَنْ حمل صليب المرض ، ومنهم من حمل صليب الزيجة وآخرون حملوا صليب الفاقة** وغيرهم وغيرهم كثيرون وكثيرون ...

أ ـ صليب المرض :

صليب المرض ليس صليباً هيناً ... **إن الإنسان بحمله هذا الصليب بشكر إنما يقدم جسده ذبيحة على مذبح الألم ...** ورد فى كتاب بستان الرهبان أن راهباً أعلن له الله فى رؤيا مراتب القديسين فى السماء . فرأى فى مقدمتهم المريض الشاكر ... فى عام ١٩٥٨ دخلت احدى المستشفيات بالقاهرة واجريت لى عملية جراحية . وقلت فى نفسى انه حينما يسمح لى بمغادرة الفراش سافتقد المرضى النزلاء بهذا المستشفى ... فسألتُ عن أكثر المرضى تعباً وألماً ، فأرشدونى إلى سيدة تعانى من مرض الفالج (الشلل) ... دخلت إليها ، كانت فى الثلاثينيات من عمرها وتعانى من شلل كلى ، وهى زوجة لطبيب ... كانت تستطيع أن تتكلم بصعوبة ... وكانت تجيب على كل أسئلتى بعبارة واحدة « اشكر الله » ، تقولها بلسان ملتوت ...

والأب المبارك القمص بيشوى كامل كاهن كنيسة مار جرجس باسبورتنج بالاسكندرية ، وقد اصيب أواخر حياته بمرض السرطان

الخبيث ، واجريت له عملية جراحية دون جدوى ... وكان فى كل هذا لا يشكو من آلام هذا المرض المبرحة ... بل كان يشاهد دائماً مبتسماً ، وكان يدعو مرض السرطان أنه مرض الفردوس .

ب ـ صليب الزيجة :

ربما أدهش البعض أن أذكر أن للزيجة صليباً .. !! لكنه صليب عنيف وشديد ... أمامه يضعف كثيرون ، و يلقى البعض صليبهم عن كاهلهم ، و يرتدون عن المسيحية ... لكن هناك كثيرين حملوا هذا الصليب بشكر و بلا تذمر ... **لكن ماذا نقصد بصليب الزيجة ؟** نقصد أن يكون أحد الزوجين إما الزوج أو الزوجة منحرفاً فى اخلاقه ، فظاً فى طباعه ، متعباً فى معاملاته ... فيكون هذا الطرف المنحرف المتعب صليباً لشريكه فى الحياة الزوجية ..

اعرف كثيرين عاشوا وتعايشوا فى ظروف بالغة الصعوبة والمرارة ، وحملوا صليبهم بشكر ، فكان ذلك بركة لحياتهم ولأ ولادهم ...

وقد يكون هذا الصليب مرض أحد الزوجين مرضاً صعباً ، اياً كان هذا المرض الذى يفقده الحيوية أن يمارس حياته كزوج أو كزوجة ...

منذ نحو مائة سنة ذهب عامل نقّاش إلى البطريرك الذى كان موجوداً فى ذلك الوقت ، وطلب منه أن يطلقه من زوجته و يزوجه زوجة ثانية لأن زوجته مريضة بالشلل الكلى ، وهو شاب و يريد من يخدمه ويخشى على نفسه من الزلل .. فطلب إليه الأب البطريرك أن يعطيه فرصة لمدة ثلاثة أيام يمرّ بعدها عليه ... وفى إحدى ليالى هذه الأ يام الثلاثة رأى ذلك العامل فى

حلم ، أنه واقف على سقالة مرتفعة و يقوم ببياض واجهة عمارة عالية ... وانه اختل توازنه وسقط من علو شاهق وتهشمت عظامه واعضاؤه ... وفى نفس الحلم كانت زوجته بصحة جيدة ، وكانت ملهوفة عليه ، وتقوم بخدمته بكل طاقتها ... ولأن الحلم كان من الله ، فقد استيقظ من نومه واخذ يفكر فى الحلم ، وأحسّ فى نَفسه بالخسّة إذ كيف يطلب من البابا أن يطلقه من زوجة و يزوجه بأخرى . وهل لو كان هو الطرف المريض كانت زوجته ذهبت إلى البطريرك وطلبت منه أن يطلقها و يزوجها من آخر ؟! ...

ذهب إلى الأب البطريرك وقال له [لقد عدلت عن طلبى] وروى له الحلم ... فدعا له البطريرك بالشفاء لزوجته ... وكان أحد الأعياد الكبرى على الأ بواب ، وبعد أن انتهى ذلك العامل الشاب من عمله عاد إلى بيته . وفيما هو فى الطريق أخذ يحزن و يكتئب و يندب حظه بسبب مرض زوجته ... لكنه حينما عاد إلى بيته وجد زوجته المريضة فى صحة جيدة تتمشى فى المنزل ... ماذا حدث ؟ ... أخذت الزوجة تروى لزوجها كيف أن العذراء الطاهرة أتت وشفتها وامسكت بيدها وتمشت بها ومعها فى كل حجرات المنزل ثم اختفت عنها ...

ومنذ حوالى ثمانية عشر عاماً استوقفت أحد التاكسيات بالقاهرة لأستقله . وكنت قبلها حاولت إيقاف تاكسى آخر قبله لكنه لم يتوقف ... ركبت فى التاكسى وسألنى السائق عن البابا المتنيح الأنبا كيرلس وهل هو موجود بالقاهرة لأنه يريد أن يقابله ... فلما استوضحته عن السبب . فذكر لى أن زوجته مريضة بمرض لا يجعلها صالحة كزوجة ... فأخذت أروى له القصة السابقة. وكنت عند هذا الحد قد وصلت إلى المكان الذى

أقصده ... فنظر إلىَّ السائق وقال لى لولا كلامك هذا ، كنت سأتوجه صباح باكر لترك المسيحية ...

جـ - صليب الفاقة :

وهو صليب أيضاً له ثقله ... وكم من نفوس تضعف تحت وطأة الحاجة والفاقة (الفقر والعَوَز) ، فيرتدون عن الإيمان ... لكن كم من أشخاص عانوا من هذا الصليب ، ومع ذلك حملوه بشكر ... عرفت إنساناً قبل ذهابى للدير ... كان رب أسرة . وكان تاجراً متيسراً فى حياته ... ولكن بسبب امانته ورفضه أن يقسم اليمين فى المحكمة فقد كل ما يملك ... كان يطرق باب الشقة التى كنا نقطن فيها أنا و بعض الاخوة . و يتصادف أن نكون حول مائدة الطعام . وندعوه لمشاركتنا فى الطعام ، لكنه يقول [أنا سبقتكم] ... و يتضح بعد ذلك أنه هارب من منزله لأن أولاده ليس لديهم ما يأكلونه ، وقد ترك منزله ، لأنه لا يحتمل منظر أولاده ... وكان عفيف النفس ... حمل صليب الفاقة بشكر . ما شكا لإنسان ، بل كان ينكر احتياجه ... أما النتيجة ، فلقد بارك الله فى جميع أولاده ... ورقد فى الرب وهو مستريح ...

وبعد أيها الاخوة ... نعود إلى وصية الرب « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعنى » (لوقا ٩ : ٢٣) ...

دعوة وجهها ربنا يسوع المسيح إلهنا المحب إلى تلاميذه وإلى جميع المؤمنين به ... وظلت أصداء هذه الدعوة تتردد عبر الأجيال ...

دعوة اختيارية ، وليست تكليفاً اجبارياً ... دعوة وجهها فى غير عنف أو قهر أو عنت « إن أراد أحد أن يأتى ورائى » ... لكن ـ حتى لو كانت الدعوة فى صورتها اختيارية ـ لكنها اساسية حيوية للسير خلفك أيها المسيح ومعك ... ومَنْ الذى يأبى أن يسير خلفك أيها الإله الحنون ؟! ... إن كلماتك ترن فى أذنه « ليس التلميذ أفضل من معلمه ، ولا العبد أفضل من سيده . يكفى أن يكون التلميذ كمعلمه والعبد كسيده » ...

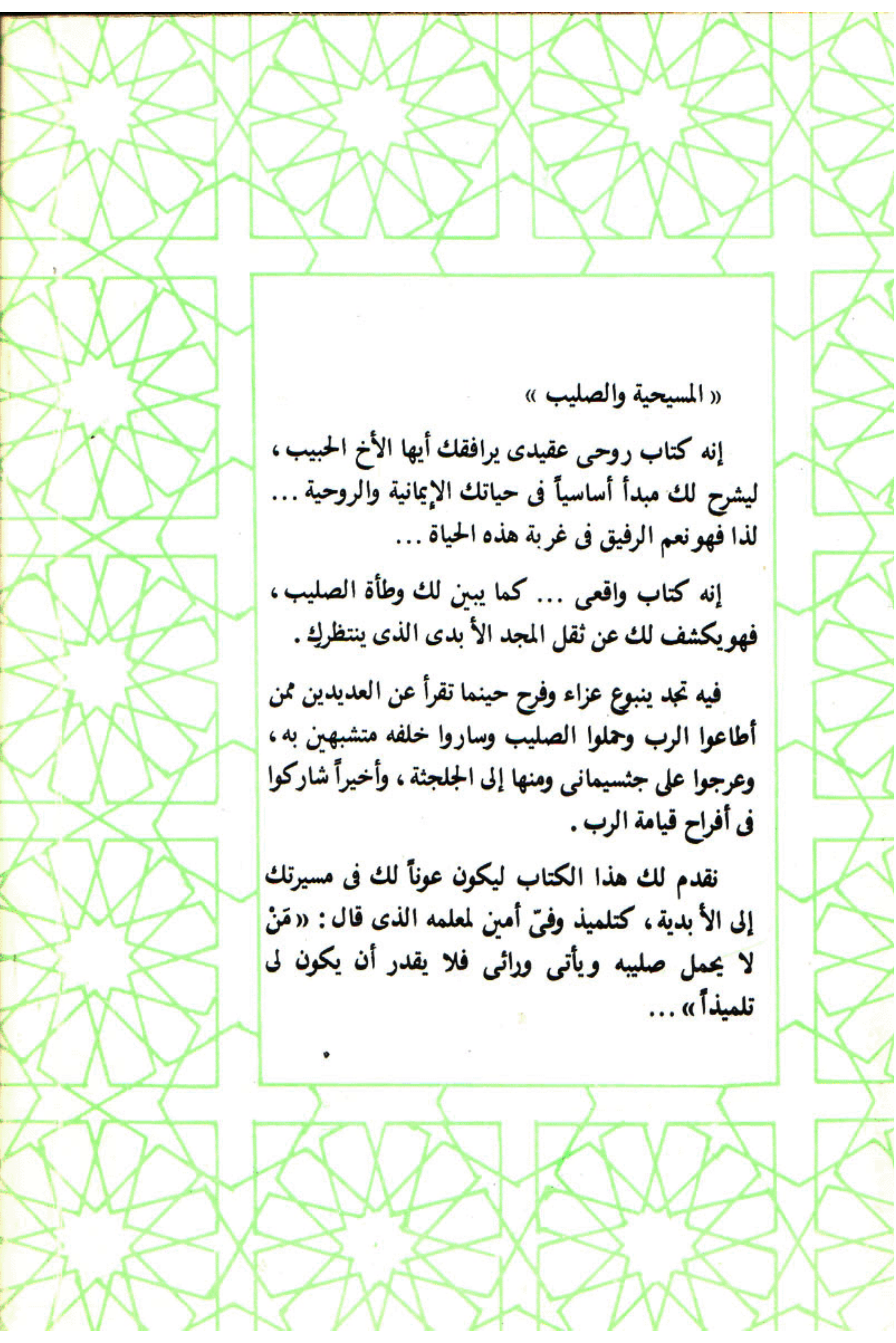
أيها الإله الذى أتيت وحملت خشبة الصليب بإرادتك ، لتنجينا من موت محقق ... لقد فديتنا يا قدوس القديسين ، فكيف نأبى أن نحمل الصليب ونسير وراءك تشبهاً بك ... حينما نسير وراءك نثبت النظر فيك ، و يدوم النظر إليك ... وهل تشبع العين من التطلع إلى رئيس الإيمان ومكمله ، وإن كان يحمل صليباً ... على هدى خطاك سارت جموع البشر ناظرين إليك ، يسمعون انينك وانات قلبك ، يا مَنْ وقعت تحت الصليب وأنت تحمله من فرط الاعياء ... لم يجزعوا من أناتك ، فهى أنات القلب الذى أحب جبلته إلى المنتهى ... وهى الأنات التى انطلقت حزناً على خطاياهم ... ولولا هذه الأنات لما نلنا الروح القدس الذى ولد البشرية ولادة جديدة وصيرنا هيكلاً لله ، و يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها ...

لقد لبت دعوتك الألوف تلو الألوف ، بل الملايين من كافة الاجناس والثقافات والأعمار وفى حب واتضاع احنوا اعناقهم للصليب وحملوه بفرح ، وساروا خلفك ، وعزاؤهم كلماتك « يكفى

التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده »... مسيرة ضخمة من حاملى الصليب فى كل قارات العالم، لا يعرفون لغات بعضهم، لكن الروح القدس ألف بين قلوبهم... مسيرة ضخمة عمّرت قرابة عشرين قرناً من الزمان... ولم تستطع عَوادى الزمان أن تزحزحها أو تُوقفها... تيار عارم من الحب نحوك أيها الإله الذى هو الحب ذاته، الذى أحب الخطاة وبذل ذاته عنهم... أيها الإله العجيب فى حبه وحنوه ورقته، نؤمن بك، ونؤمن اننا رغم خطايانا فمحبتك لشعبك وخليقتك لن تسقط أبداً... أذكرنا بمراحمك الغنية...

فهرســت

الموضوع | صـــفحة



« المسيحية والصليب »

إنه كتاب روحى عقيدى يرافقك أيها الأخ الحبيب ، ليشرح لك مبدأ أساسياً فى حياتك الإيمانية والروحية ... لذا فهو نعم الرفيق فى غربة هذه الحياة ...

إنه كتاب واقعى ... كما يبين لك وطأة الصليب ، فهو يكشف لك عن ثقل المجد الأ بدى الذى ينتظرك .

فيه تجد ينبوع عزاء وفرح حينما تقرأ عن العديدين ممن أطاعوا الرب وحملوا الصليب وساروا خلفه متشبهين به ، وعرجوا على جثسيمانى ومنها إلى الجلجثة ، وأخيراً شاركوا فى أفراح قيامة الرب .

نقدم لك هذا الكتاب ليكون عوناً لك فى مسيرتك إلى الأ بدية ، كتلميذ وفىّ أمين لمعلمه الذى قال : « مَنْ لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » ...